



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب والبلاغة والنقد

مخاطبة الطير في الشعر العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري

[دراسة نقدية تحليلية]

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

إعداد الطالب

حمد بن علي بن حمد الفقيه الحسيني الهاشمي

الرقم الجامعي / ٤٣١٨٨٢٤٨

إشراف الأستاذ الدكتور

ماجد بن ياسين الجعافرة

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

الفصل الدراسي الثاني

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص الرسالة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، وعلى آله، وصحبه، والتابعين له، وبعد: فهذا تلخيص لما احتوت عليه الرسالة التي هي بعنوان (مخاطبة الطير في الشعر العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري - دراسة نقدية تحليلية) وقد اشتملت الرسالة على الآتي:

- الإهداء، وكتبت فيه إلى من أهديت هذه الرسالة.

- الشكر والتقدير:

ذكرت فيه شكري وتقديري والدعاء لكل من أعانني نفسياً ومادياً لاسيما والدي ومشرفي على الرسالة.

- المقدمة:

وتحدثت فيها عن سبب بحثي في هذا الموضوع، وجعلت عنوان الرسالة التي قدمتها لئيل درجة الماجستير، ثم فصلت فيها عن ماهية الدراسة لهذه الرسالة، ثم أجملت القول فيها عن منهج البحث وعن مفرداته.

- منهج البحث:

وبيّنت فيه المنهج الذي سأعتمد عليه في دراستي للأبيات والقصائد المتعلقة بموضوع الرسالة وهو المنهج النقدي التحليلي مع ربطه بالجو النفسي لدى الشاعر.

- الدراسات السابقة:

تناولت ذكر الدراسات السابقة والتي أفدت منها، وما الذي تميزت وتفردت به هذه الرسالة.

- التمهيد:

تحدثت فيه عن علاقة الانسان بالطير من ناحية أن كليهما مخلوقان والانسان بطبعه له علاقات مع المخلوقات من حوله، ثم ذكرت ما تميز به الطير من مكانة لدى الانسان وما أسبابها، وتحدثت بآثار ذلك على الانسان العربي، وكيف أثر ذلك على تعلقه بالطير.

ثم ذكرت الفصل الاول ويشمل على مبحثين:

المبحث الأول: أنواع الطيور ومستوى الحضور في الشعر العربي:

تحدثت عن الطيور والتي كانت معروفة في تلك الحقبة - والتي قيد بحث الدراسة- وتصنيفها إلى صنفين الالف والجرح، وكيف تعامل الانسان معها، وكيف نشأت بعض الهوايات المرتبطة بالطير، ثم تحدثت عن بعض العادات التي لدى العرب وكانت متعلقة بالطير - وذكرت مدى تعلقهم به وتسميت أولادهم بأسماء الطير.

المبحث الثاني: الطير والمعتقدات الاسطورية عند العرب:

وتحدثت فيه عن ماهية الاسطورة ومجالاتها، وذكر بعضها إجمالاً، وذكر الأساطير المتعلقة بالطير عند العرب تفصيلاً، مع ذكر الشواهد الشعرية من أشعارهم، ثم ذكرت أن هذه الأساطير لم تكن سائدة عند بعض العرب، وأن هناك من عقلائهم من أنكروها وحذر منها ودعا إلى نبذها.

ثم ذكرت الفصل الثاني: تشكل الخطاب الشعري وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أشكال الخطاب:

وتحدثت عن القالب والأشكال للأبيات التي جاءت فيها مخاطبة الشعراء الطير وجاءت في ثلاثة محاور:

- المناجاة. - المخاورة. - المناادة.

ثم ذكرت المبحث الثاني وهو:

وظيفة الخطاب ومسوغاته وما أسباب مخاطبة الشاعر لهذا الطير وجعلته في محورين: - البوح. - الأُنس بالطير.

ثم ذكرت المبحث الثالث:

وهو عن سمات الخطاب وأهم ما تميزت به مخاطبة الشاعر للطير وجعلته عن طريق محورين:

- الصور الفنية. - الظواهر الأسلوبية.

الخاتمة:

ثم ذكرت الخاتمة، وبينت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وثمرات مكتسبة من خلال الرسالة ثم ذكرت قائمة المصادر، ودواوين الشعراء ثم فهرس الموضوعات.

والله ولي التوفيق

المشرف

الطائب

أ.د. ماجد بن ياسين الجعافرة

حمد بن علي الفقيه

Message summary

Praise be to Allah, and peace and blessings be upon His Messenger, and his family, and his family, and his subordinates, and after: This is a summary of what contained the message that you are entitled (to address the bird in Arabic poetry until the end of the fifth century AH - critical examination analytic) have included the message as follows.

- Gifting, and wrote of it was donated to this letter.

- Thanks and appreciation.

Stating my thanks and appreciation and pray for each of helped me psychologically and physically, especially my parents and administrators to the letter

- Introduction:

And which she spoke about the reason for my research on this subject, and made the letter submitted by the Master's degree title, then separated from the nature of the study to the letter, then outlined to say where all the research methodology and vocabulary.

- Research Methodology:

And showed the approach that I shall rely upon in my study of the verses and poems on the subject of a critical letter: analytical approach linked with the psychological atmosphere poet.

- Previous studies:

Then he said previous studies dealt with and reported to them, and then separated to say in explanation, and the side that did not focus in Mbagesha, and Maalve marked and unique to this letter.

- Boot Talked about the relationship of man that certain birds in terms of both nature and man Makhluqan his relations with the creatures around him, then said Matmiz by the fowl of the status of humans and Maaspabha, and spoke of the effects on the Arab rights, and how did this affect his attachment to certain birds.

Then it reported the first chapter and includes two sections.

First: bird species and the level of attendance in Arabic poetry - talked about the birds, which were known in that era -walta under Search Aldrash- and classified into two categories pet and Garah, and how you treat human with it, and how did some of Interests associated with certain birds, then talked about some of the habits that have Arabs and were related to certain birds _ said the extent of their attachment to him and Tzmat their children the names of birds and bird names mentioned housing.

The second topic: the birds and mythical beliefs among the Arabs She spoke about the nature of myth and fields, and said some of them in total, said myths about certain birds when Arabs in detail, together with the evidence poetic 'notice, then dealt stated that these myths were not prevalent when some Arabs, and that there are wise men of denied by and warned them and called for a discarded.

Chapter II then said: constitute a poetic discourse and the three Investigation.

First topic: forms of speech: She spoke of template forms in which the verses of poems and poets to address the bird came and came in three axes: - Intimacy - dribble - Paging

Then it reported a second topic: the function of the speech and justifications and Maaspab poet to address the bird and made it in two axes: - Revealing - Humans.

Certain birds Then said third section: a discourse about the most important features and Matmiz address by the poet of the bird and made it through two axes:

- Pictures technical - stylistic phenomena

- Conclusion:

Then reported the epilogue, and showed where the most-edge findings and the fruits acquired by letter: Then said the list of sources, and then collections of poets topics Index.

Paper by

DR. super visor

Hamd ali al-faqeh

Maged yasin al-qahfra

إهداء

إلى زوجي وأم ولديّ، التي كانت معي بمشاعرها وأمنياتها لي منذ التحاقني ببرنامج الماجستير وحتى إكمالي كتابة الرسالة؛ فأخذت عني كبير الحمل في تربية الولدين حتى تترك لي أكبر المساحة من الوقت من أجل التفرغ لدراستي ورسالتي.

شكر وتقدير

أقدم شكري ودعائي مقرونين بالاعتراف بالتقصير والاعتذار لوالديّ؛
الذين كان لهما أكبر الدعم النفسي في مسيرة بحثي بالدعاء لي تارة، وسؤالهما عن
مسار بحثي في مراحل كتابته تارة أخرى. حفظهما الله ووفقني إلى برّهما.

كما أسجّل جزيل الشكر لأستاذي مشرف الرسالة: الأستاذ الدكتور ماجد
الجعافرة على ما أبداه لي من نصح وإرشاد وتصويب وتوجيهات. سائلاً المولى عز
وجل أن يبارك في علمه وعمره، ويزيده رفعة وقدرًا. وأوجه جزيل الشكر لعضوي
لجنة المناقشة أ. د. عبد الله الزهراني. وأ.د. سمير الدروبي، وسأخذ بملاحظتهما القيمة
بإذن الله.

وكلُّ الشكر والتقدير أقدمه لإخوتي الأفاضل.

ولخالي شقيق أمي: أبي أسامة.

وأقدم الشكر لأستاذي الدكتور إبراهيم السهلي. الذي هو صاحب فكرة
موضوع الرسالة، تفضل على تلميذه بإهدائه هذا الموضوع الذي كان بحثي فيه.

كما أقدم أوفر الشكر وأجزله لزميل الدراسة وصديق العمر: أبي محمد عبده بن
محمد الشطيري، الذي كان عوناً لي في إكمال دراستي لمرحلة الماجستير.

كما أتقدم بالشكر الجميل والتقدير الوفير للدكتور علي الجابري الفقيه، الذي
لم ييخل عليّ بأرائه ومشورته لي.

وأقدم الشكر والتقدير لكل من سأل اطمئناناً عليّ ووقوفاً معنوياً معي.

مُقدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه
أجمعين، أما بعد:

منذ التحاقني ببرنامج الماجستير، وأنا أحمل همّ البحث عن موضوع يكون بحثي
فيه؛ لنيل درجة الماجستير، وبتوفيق من الله اهتديت إلى موضوع:

مخاطبة الطير في الشعر العربي.

إن القارئ في دواوين الشعراء؛ يجد طريقة سار عليها بعض الشعراء في مخاطبة
الطير ومناجاته فجرى على ألسنتهم ذكر أنواع متعددة من الطير: كالحمام، والقطا،
والقمري، الغراب، الديك، القُبْرَة.

وإن الدارس لهذا الفن يجد أن الشعراء يختلفون في مخاطبتهم ومناجاتهم للطير؛
كل بحسب الحالة التي يعيشها، وكذلك بحسب موضوعات المخاطبة التي تخص نوع
الطير المخاطب؛ فأوجد ذلك رغبةً لدى البحث الحالي لتقصي هذا الموضوع وجعله
قيد البحث والدراسة؛ بدءاً بالبحث عن الأسباب التي جعلت الشاعر يُخاطب الطير،
وما سرّ اختلاف موضوعات القصائد باختلاف نوع الطير المُخاطب في القصيدة، وما
مستويات هذا الخطاب؟ وكيف انعكست مخاطبة الشاعر للطير على البنية الفنية
للقصيدة التي تضمنت هذا الخطاب؟

ولهذا قررتُ أن رسالتي لنيل درجة الماجستير مخصصة في هذا الموضوع.

وستكون الدراسة على مدة زمنية محددة وهي:

من العصر الجاهلي إلى القرن الخامس الهجري؛ إذ ستتناول هذه الدراسة مجموعة أبيات قيلت في تلك الحقبة والمدة الزمنية وستعتمد في دراستها على المنهج النقدي التحليلي الذي يُلامس الآفاق الجمالية للنص في مخاطبة الطير خصوصاً؛ من خلال ربط تحليل القصيدة بحالة الشاعر النفسية.

ويقتضي هذا بالطبع استعراض الطير في الشعر، وسبب ذكر الشعراء الطير في شعرهم.

فيكون الفصل الأول عن: الطير وأبعاده في الشعر.

ويتناول المبحث الأول فيه: أنواع الطير، ومستوى الحضور في الشعر العربي، وأكثرها وروداً في الشعر.

وسيتناول المبحث الثاني: الطير والمعتقدات الأسطورية عند العرب. وسأذكر بعض المعتقدات التي كانت سائدة عند العرب على وجه الخصوص المتعلقة بالطير وكيف حضورها في أشعارهم.

ثم سيتناول في الفصل الثاني من هذه الرسالة تشكيل الخطاب الشعري في هذه القصائد وسيكون المبحث الأول من هذا الفصل عن: أشكال الخطاب.

وسيكون في ثلاثة محاور: المناجاة، المحاور، والمناداة.

ثم سُنْتناول في المبحث الثاني من الفصل الثاني: وظيفة الخطاب ومسوغاته.

وسيكون في محورين هما: البوح، والأنس بالطير.

ثم سُنْتناول في المبحث الثالث من هذا الفصل: سمات الخطاب.

ويتضمن:

أ) الصور الفنية. ب) الظواهر الأسلوبية.

ثم تختم الرسالة بعرض شامل للنتائج التي تم التوصل إليها حول:

الطير وعلاقته بالشعراء، ومخاطبتهم له.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، كما أسأله أن يلهمنا الصواب.

والحمد لله أولاً، وآخرأ، على عطاياه التي لا تُحصى، ونعمه التي لا تُنسى.

حمد بن علي بن حمد الفقيه

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج النقدي التحليلي القائم على شرح القصائد التي كان سببها مخاطبة الشاعر للطير، وربطها بالحالة النفسية والشعورية لدى الشاعر وسبب مخاطبته لها.

وأما مصادر البحث ومراجعته، فتمثلت دواوين الشعراء الذين طرقتوا هذا النوع من الخطاب، وكذلك المجموعات الشعرية من المصادر الأساسية لهذا البحث.

بالإضافة إلى المراجع المهمة التي لا غنى للبحث عنها، والتي قام الباحثون فيها بتحليل قصائد وردت فيها صور الطير مثل:

- الطير في الأدب العربي. لمحمد بن أحمد بن سعيد أبو زيد.
- الطير في الشعر الجاهلي. لعبد القادر الرباعي.
- الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعة للشعر قبل الإسلام لكامل عبد ربه الجبوري.

هذا ولم أبلغ في عملي ما يجب أن أبلغه، وحسبي أنني حاولت، ولم أبخل عليه بشيء أملكه من جهد، وعناية، ووقت.

وما أحسن ما قيل: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السوار ما أحاط بالمعصم.

الدراسات السابقة:

- درس العديد من الباحثين محور (الطير في الشعر) ولكنهم لم يركزوا على جانب (المخاطبة) فيه، مثل:
- الطير في الشعر الجاهلي، عبد القادر الرباعي.
كان هذا الكتاب عبارة عن ثلاثة مباحث:
تحدث في المبحث الأول عن صفات الطير وخصوصيته عن بقية الحيوانات، وذكر نماذج شعرية ذكر فيها الطير بأوصاف تعتبر له مزية.
ثم تحدث في المبحث الثاني عن بعض المعتقدات التي كانت سائدة لدى العرب في العصر الجاهلي المتعلقة بالطير.
وتحدث كذلك في مبحث الكتاب الثالث عن بعض التشبيهات الشعرية التي جاءت في قصائد بعض الشعراء الجاهليين وكيف كانت صورة الطير فيها.
- الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام لكامل عبدربه الجبوري.
وكان هذا الكتاب يهتم بالصور الفنية الشعرية ودلالاتها للقصائد التي ذكر فيها الطير أو وصفه في العصر الجاهلي.

وهناك بعض الكتب المتعلقة بالطير؛ والتي لم أستطع الحصول عليها؛ لوجودها في دول حصلت فيها تغيرات سياسية وأحداث أمنية حالت دون تمكني من الوصول إليها والاطلاع عليها، مثل:

- صور من وصف الطيور في الشعر العربي. إيناس محمد سيد حسن.
- الطير في شعر شعراء العصر العباسي الأول. الحسيني: محمد إبراهيم الفقي.

التمهيد

الإنسان بطبعه يربط نفسه بالمخلوقات من حوله، والعربي في نشأته قد كوّن ثقافة حياتية مع من حوله من المخلوقات كالحصان والناقة.

ومن هذه المخلوقات التي حصل بينها ترابط مع الإنسان العربي هو: الطير.

لقد احتل هذا الجنس من المخلوقات (الطير) مكاناً واسعاً في حياة العرب؛ لما يمتلكه من خصوصية الطيران، التي تجعله بعيد المنال؛ لارتباطه بتجربة الصيد.

فتعلّق العربي بالطير تعلقاً واسعاً وجرى ذكره على ألسنة الشعراء ورسموا حوله كثيراً من الأساطير والمعتقدات الخرافية، التي كانت تُروى مجالسهم وأسماءهم؛ فجعلته عنصراً مهماً في الحياة والموت، والحظ، والمطر، والحرب، واستجلاء الغيب.

وبهذا احتلّ الطيرُ في شعر بعض الشعراء مكاناً واسعاً؛ وصوّروا بخيالهم الواسع مقدرته على التحدث والاستجابة والرد.

وظهرت على إثر ذلك أنواعاً متعددة في مخاطبته ومناجاته، على اختلاف أنواع هذا الطير المعروفة لديهم آنذاك؛ فالحمام والمقريّ لها خطاب يختلف عن الغراب والبوم، وبالتالي لكل خطاب صورته الفنية المتعلقة به.

وجاءت خطابات هؤلاء الشعراء في أشكال متنوعة، أثرى ذلك في الرصيد الشعري، والثقافي في أدبنا العربي.

وكانت هذه المناجاة باعثها الأول هو الباعث النفسي لدى الشاعر وما يحمله في نفسه من مشاعر.

فجاءت مخاطبة الشعراء لهذا الطير في مواقف مختلفة ما بين مناجاة، ومناداة،

وحوار بينهما.

وستتضح في ثنايا هذه الرسالة نماذج لأشكال ومواقف هذه المخاطبة والباعث

لها.

الفصل الأول

الطير في الشعر العربي

✧ المبحث الأول: أنواع الطيور ومستوى الحضور في

الشعر العربي

✧ المبحث الثاني: الطير والمعتقدات الأسطورية عند

العرب

المبحث الأول

أنواع الطيور ومستوى الحضور في الشعر العربي

الطير صنفان: أليف وجارح، بل قوي وضعيف، وقويها يفترس ضعفيها أحيانا، فصغار الطير تخشى وتهاب الجارح والقوي منها.... وقد ذكر في أقوال بعض الشعراء، وأشاروا إليه إشارة واضحة، يقول الحطيئة^(١):

تَفَادَى كَمَاةُ الْحَيْلِ مِنْ وَقَعِ رُمْحِهِ تَفَادَى خَشَاشِ الطَّيْرِ مِنْ وَقَعِ أَجْدَلِ

في البيت بيان قوة الممدوح وحسن ضربه بالرمح؛ حتى إن الفرسان لتتجنب ملاقاته في الحرب وتتفاداه تفادي صغار الطير للصقر، وكأن رماح الممدوح مصوبة بدقة الصقر في الوقوع على فرائسه.

يتبين من البيت السابق للحطيئة ورود ذكر الطير في الصورة الشعرية التي شبه فيها دقة رماح الممدوح بدقة الصقر في رؤيته فرائسه وقدرته الفائقة على اصطيادها. ويقول ذو الرمة^(٢):

أَمِيرُ أَبِي مُوسَى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمُ الْكَرْوَانُ أَبْصَرَ بَازِيَا

أراد أن يبين حال القوم وهم بين يدي الأمير، وهيبتهم له، فوصفهم بطائر الكروان حينما يرى طائر الصقر.

(١) ديوان الحطيئة. ص ١٧٣.

(٢) ديوان ذي الرمة، ص ٧٧.

وقد تمكن الإنسان من ترويض بعضها كالصقور؛ حتى أصبحت عملية تربيتها
والصيد بها هواية محببة وشائعة لدى بعض الملوك والخلفاء والأمراء وأصحاب الجاه.

ومن أشهر من صادوا بالصقور:

حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.

وكان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه صاحب طرب وجوارح وكلاب؛
وكان مولعا بالصيد، ثم هشام بن عبد الملك بن مروان.

وكان أبو العباس السفاح شديد الوله بالضواري، شديد اللهج بالصيد، ثم أبو
جعفر المنصور، ثم الرشيد كان أيضاً متعلقاً وشغوفاً بها؛ فكان يخرج للصيد ومعه عدد
من أصدقائه، ورجال دولته، وبعض شعرائه كأبي نواس^(١).

وهواية الصيد بالطير والقتنص به ما زالت موجودة إلى يومنا هذا، وإن كانت
قديماً أفضل مما عليه الآن ممارسة واهتماماً.

لقد عاش أغلب العرب في الماضي بين ربوع الصحراء على هيئة قبائل كانت
تجوب الصحراء؛ طلباً للماء والكلاء وقد اعتمدوا على الحيوان، وكان له أكبر الأثر في
حياتهم، فهو أقرب إلى نفوسهم وعواطفهم؛ لأنه رفيق سفرهم وشريكهم في تحمل مشقة
الطريق...؛ مما دفعهم إلى العناية به عناية خاصة حتى عرفوا طباعه وخبروا مميزات.

(١) الصيد بالصقور. مجلة التربية القطرية. العدد: ٢١.

والطير جنس من الحيوان احتل مكاناً واسعاً في حياة العرب؛ لاتصاله بأسباب حياتهم بيد أن عنايتهم به كانت أقل من عنايتهم بسائر أجناس الحيوان بالرغم من وروده في أشعارهم؛ ولعل ذلك نابع من ندرة الاستفادة منه في حياتهم اليومية؛ بسبب بعده عنهم لما يمتلكه من خصوصية الطيران بخلاف الكائنات الأخرى التي كانت تمثل جزءاً من حياتهم، بيد أنهم استمدوا منه مظاهر أخرى كان من أبرزها: جماله وسرعته، وبعد مناله، وارتباطه بتجربة الصيد التي عرفها العربي ودوّنها في أشعاره.

فقد كان العرب في الجاهلية من منطلق ضرورة الحياة وحاجتها، وملء الفراغ يندفعون إلى ممارسة الصيد بوسائل محدودة.... بيد أنهم لم يتخذوا هذه الهواية حرفة؛ فهم كانوا يستدلون حرفة الصيد ويحتقرونها آنذاك؛ لإيمانهم بمظاهر القوة والبطولة، واقتحام الأهوال... وهذا ما حمل الجاحظ على قوله: "وقد وجدنا العرب يستدلون الصيد ويحقرون الصياد"^(١)، "وتعرض من بينهم للهجاء أقوام بسبب امتهانهم الصيد"^(٢).

وبعد ظهور الإسلام؛ اختفت هذه النقيصة؛ لورود ما يدل عليها في القرآن

الكريم ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾^(٣).

والعرب في الجاهلية آمنوا بأشياء واعتقدوا بمعتقدات ومارسوا خرافات وفقاً لإيمانهم بها في واقعهم الاجتماعي والبيئي في تأريخهم الطويل حتى غدا عالمهم زاحراً في كثير من جوانبه بعدد هائل من الأساطير التي ورثوها عن الأسلاف.

(١) الحيوان. للجاحظ. ج ٢ / ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق. ج ٢ / ٣١٠.

(٣) سورة المائدة: آية ٤.

واحتل الطير مكاناً بارزاً من هذه المعتقدات والأساطير التي دونها شعرهم؛ إذ لا يمكن فصل صور الشعر الجاهلي عن الفكر الذي نهل منه الشعراء في تجاربهم وصورهم الفنية، فمن العقائد التي آمن بها الجاهليون والتزموا بها ظاهرة "زجر الطير".

ذكر المبرد:

"أن العرب تزجر على السانح وتترك به، وتكره البارح^(١) وتتشاءم به...".

ومما تجدر الإشارة إليه أن أمر السانح والبارح كان معتقداً في العصر الجاهلي يُشير إلى نوع من مواجهة إنسان ذلك العصر لمصيره، وتوجسه من الجهول...، بيد أنه لم يكن العرب كلهم متفقين على أمر السانح والبارح؛ فأهل نجد يتيمنون بالسانح وأهل الحجاز يتشاءمون منه^(٢).

واستمر الاعتقاد بهذه الظاهرة حتى ظهر الإسلام فنهى الرسول ﷺ عنها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا عدوى ولا طيرة

ولا هامة ولا صفر"^(٣).

(١) الكامل في اللغة والأدب. للمبرد.

(٢) العمدة. لابن رشيقي. ج ٢ / ٢٦٢، لسان العرب. لابن منظور. مادة: سنح.

(٣) صحيح البخاري. رقم الحديث: ٥٧٥٧.

ومما اعتقد به بعض العرب في الجاهلية:

أنهم يزعمون أنه إذا قُتل الرجل ولم يُؤخذ بثأره؛ خرجت هامة المقتول وهو طائر يسمى: "الصدى" ينادي الليل كله: اسقوني... اسقوني، حتى يُقتل قاتله فيسكن...، ويسمونه أيضاً "الهامة"^(١).

ومما يُظهر مكانة الطير لدى العربي أنه قد يُسمى بعض أولاده بأسماء الطير فكان بينهم: القطامي "الصقر"، واليعقوب "ذكر الحجل"، والهيثم "فرخ العقاب"، وعكرمة "الحمامة" وغير ذلك^(٢).

هذا بالإضافة إلى أنهم قد جعلوا له صفات كثيرة، واهتموا بصوته وجعلوا لكل صوت طير اسماً... فقالوا: هديل الحمام، نعيق الغراب، صياح الديك، واهتموا كذلك بمساكنه وأمكنته التي يألفها وتناولوا ذلك في أشعارهم... فنجد مثلاً من مساكن الطير التي ذكروها في أشعارهم: "وكنات الطير"، مثل قول امرئ القيس في معلقته، حيث يقول^(٣):

وَقَدْ أَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

فوضح الشاعر أنه في خروجه لطلب الرزق والصيد يكون مُبكراً بخروجه وهو على فرسه، وأنه يسبق الطير في الخروج، وهي ما تزال في أعشاشها.

(١) البيان والتبيين. للجاحظ. ج ١ / ٢٨٤.

(٢) أدب الكاتب. لابن قتيبة. ص: ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤.

(٣) ديوان امرئ القيس، ص ١٩.

ويقول علقمة الفحل^(١):

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا وَمَاءُ النَّدى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مَذْنَبِ

إذ صوّر الشاعر خروجه لطلب الرزق مُبكراً، مع سيلان ماء الندى من ورق الأشجار على جدول الماء الصغير وهو الروض.

ومن مساكنه أيضاً التي ذكروها في أشعارهم "وكر الغراب".

تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر^(٢):

وَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرٍ

تُشبه الخنساء أخيها: صخرًا ومعاوية حين قتال العدو وشدة بأسهما في الانقضاض على الأعداء؛ كأنهما صقران نزلا من علوٍ على وكرٍ.

ويقول الأخطل^(٣):

فَظَلَّ يُفْدِيهَا وَظَلَّتْ كَأَنَّهَا عِقَابٌ دَعَاها جُنْحُ لَيْلٍ إِلَى وَكْرٍ

في البيت يهجو الأخطل رجلاً ويصف هروبه على فرسه خوفاً من الموت، بالعقاب حين يجل الليل عليها تهرب طلباً للأمن والنجاة.

(١) ديوان علقمة الفحل، ص ١٢.

(٢) ديوان الخنساء، ص ٧٦.

(٣) ديوان الأخطل، ص ٦٦.

ويقول الشماخ الذبياني^(١):

نَمَاهَا الْعِزُّ فِي قَطْنِ نَمَاهَا إِلَى فَرُخَيْنِ فِي وَكْرٍ رَفِيعِ
يذكر الشاعر عقاباً عزّ مكانها وارتفع في جبل قطن ببلاد نجد.

ويقول الشريف المرتضى أيضاً^(٢):

كَأَنِّي نَصَلُّ بِلَا مِقْبِضِ أَوْ طَائِرٍ ظَلَّ بِلَا وَكْرِ
يصف الشاعر نفسه بأنه قد أصبح لا مُعين له ولا سند؛ كالسيف الذي لا مقبض له، وكالطير الذي لا وكر له.

ومما ذكرته العرب مما يألفه الطير في أشعارها ما ذكره عنتره بن شداد في إحدى قصائده حينما ذكر "بطن جزع" وهو مألّف لبيض الحمام^(٣) حيث يقول:

ومسكن أهلها من بطن جزع تبيض به مصايف الحمام
في البيت دلالة على الألفة والأمن الذي وفره أهل المحبوبة؛ حتى إن الحمام يبيضُ بديارهم؛ لأنه يأمن على بيضه وفراخه أن يعتدي عليها أحد.

وذكرت العرب أيضاً مفحص القطاة وعش الطير وغيرها من مساكن الطير وما كانت تألفه.. والطير عندما يكون في جماعة يطلق عليه "سِرْب" إذ تقول العرب:

(١) ديوان الشماخ، ص ٢٢٨.

(٢) ديوان الشريف المرتضى، ص ٨٠٤.

(٣) ديوان عنتره. ص: ٢٤١

يقول مجنون ليلى^(١):

شَكَوْتُ إِلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَزَنَ بِي فَقُلْتُ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
أَسْرِبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ؟ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ

مما سبق تظهر منزلة الطير، أنها قد شغلت مكاناً مهماً في الأدب العربي وارتبطت بمعتقدات ظهر أثرها جلياً في أشعارهم وأمثالهم وارتبطت بها جوانب غالبية في حياتهم؛ عليه حفل نتاجهم الأدبي بمادة لغوية لا بأس بها عن الطير وأسمائه وكناهه وكل ما يتصل بأجزائه وأصواته وأماكنه وجماعاته وحرركاته وطباعه وضربوا الأمثال الكثيرة بها وبصفاها وبألوانها، وتغنى الشعراء به وسطروا في ذلك شعراً جميلاً، لا يزال يُداول إلى يومنا هذا.

وقد تمّ تناول الطير في كثير من المؤلفات بالوصف والدراسة العميقة، ولعل من أبرز هذه المؤلفات: كتاب الحيوان للجاحظ، وحياة الحيوان للدميري، وعجائب المخلوقات للقزويني، وذكر ابن النديم في مصنفه الشهير "الفهرست" عدداً من الكتب والرسائل القديمة المؤلفة في الطير إلا أن أكثرها ضاع ولم يصل إلينا بفعل يد الزمن.

والتأمل ما ذكر لدى بعض الشعراء؛ يتضح أنهم أغرقوا في مناجاة الطير؛ فأظهروه بخيالهم الواسع وكأنه قادر على التحدث والاستجابة والرد، وبعضهم استأنس به واتخذ صديقاً يبيث إليه همومه وأسراره، ويناجونه بخطاب يختلف من طير إلى آخر.

(١) ديوان مجنون ليلى. ص: ٩٩

والطير بأنواعه يختلف مستوى حضوره وذكره في الشعر العربي...، فما كل الطيور قد ذكرت في قصائد الشعراء في الحقبة الزمنية التي يُعنى البحث الحالي بدراستها... (١).

ومن أكثر الطيور ذكراً في الشعر العربي وحضوراً عند الشعراء: "طائر الحمام"؛ لما يوحي به من الجمال والوداعة والألفة أكثر من غيره من الطيور ولما يحركه في نفس الشاعر من شجن وعاطفة بنوحها وشدوها وهديلها.

وقد ارتبطت الحمامة في الشعر العربي غالباً مع البين والفراق، فأكثر الشعراء وقف عليها وهي على الغصون تشجو؛ فكانت تذكرهم غربتهم، فمنهم من أحزنته، ومنهم من تعاطف معها، ومنهم من أشفق عليها، ومنهم من قاس غربته على أنينها، وكانت بينهما ألفة وشجو واستنطاق، وأحياناً مشاركة في الشجن والألم والحنين.

يقول أبو ذؤيب الهذلي (٢):

تَدْعُو الْحَمَامَةُ شَجْوَهَا فَتَهَيِّجَنِي وَبِرُوحِ عَازِبِ شَوْقِي الْمَتَأَوِّبِ

يذكر أبو ذؤيب الهذلي كيف هيّج مشاعر حبه وشوقه سماعه لصوت الحمامة

وهي تُغرد وتبكي على إلفها.

(١) وتبدأ من العصر الجاهلي حتى القرن الخامس الهجري.

(٢) ديوان أبي ذؤيب الهذلي، ص

وتقول الخنساء^(١):

أَبْكِي لِصَخْرٍ إِذَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةً حَمَامَةٌ شَجَّوْهَا وَرَقَاءُ بِالْوَادِي

تذكر لنا الخنساء شدة حزنها على مقتل أخيها صخر، وكيف ألما تتجدد عليها
الأحزان والبكاء عند سماعها نداء الحمامة وشدوها.

وتقول^(٢):

تَذَكَّرْتُ صَخْرًا إِذِ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ هَتُوفٌ عَلَى غُصْنٍ مِنَ الْأَيْكِ تَسْجَعُ
فَظَلْتُ لَهَا أَبْكِي بِدَمْعِ حَزِينَةٍ وَقَلْبِي مِمَّا ذَكَرْتَنِي مُوجَّعُ
تُذَكِّرُنِي صَخْرًا وَقَدْ حَالَ دُونَهُ صَفِيحٌ وَأَحْجَارٌ وَيِيدَاءُ بَلْقَعُ

تحكي الخنساء تذكرها لصخرٍ عند سماعها شدو الحمامة وغنائها، فتظل تبكي
عليه وتسح الدموع ليه، ومما يزيد في ألمها وحزنها أنه بعيد عنها لا سبيل لها في رؤيته.

ويقول مجنون ليلى^(٣):

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلِ حَمَامَةٌ عَلَى فَنَنْ وَهَنَا وَإِنِّي لَنَائِمُ
كَذَبْتُ - وَبَيْتِ اللَّهِ - لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ

يذكر لنا مجنون ليلى بأنه يسابق الحمام بالبكاء على ليلى قبل بكائها على
الأغصان وشجوها على الأفنان، وبأن حبه غير صادق لو سبقته الحمام في البكاء.

(١) ديوان الخنساء، ص ١٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣.

(٣) ديوان قيس بن الملوح، ص ١٨٣.

ويقول أيضا^(١):

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْحَمَامَةَ غُدْوَةً على الغُصْنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ
تَغَنَّتْ بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ فَهَيَّجَتْ هَوَايَ الَّذِي بَيْنَ الصُّلُوعِ أَجَنَّتِ

يدعو الشاعر على الحمامة لأنه حين غرّدت وغنت حرّكت مشاعر الحب في نفسه لمحبوته ليلى.

ويقول أبو فراس الحمداني^(٢):

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي
أَيَا جَارَتَا مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا تَعَالَى أَقَاسِمُكَ الْهُمُومَ تَعَالِي
أَيُضْحِكُ مَا سُورٌ وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدُبُ سَالِ

ومما سبق؛ يتأكد اقتران البكاء والنوح بذكر الحمام في الشعر العربي؛ إذ يثير في بكائه ونوحه شجونهم ويُذكي فيهم جذوة البعد ولوعة الفراق...

ولعل السبب في كثرة ذكره أنسه بالناس وأنس الناس به، ومن يقرأ في دواوين الشعراء يجد أنهم وقفوا عنده بصورة مباشرة أو غير مباشرة... وكان له أيضا حظه في الأمثال فقالوا: "تقلدها طوق الحمامة"^(٣) ولعله مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص:

أَذْهَبَ بِهَا أَذْهَبُ بِهَا طُوقَتَهَا طُوقَ الْحَمَامَةِ^(٤)

(١) نُسب هَذَا الْبَيْتَانَ إِلَى: نَصِيبِ بْنِ رِيَّاحٍ؛ وَلَكِنْ عِنْدَ الْبَحْثِ وَجَدْتُهُمَا فِي دِيْوَانِ: قَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ، ص ٥٧.

(٢) دِيْوَانُ أَبِي فِرَاسِ الْحَمْدَانِيِّ، ص ٢١١-٢١٢.

(٣) الْمُسْتَقْصَى. لِلزَّمْخَشَرِيِّ. ج ٢ / ٣٠، وَقِيلَ: كِنَايَةٌ عَنِ الْخِصْلَةِ الْقَبِيحَةِ.

(٤) الْحَيَوَانَ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ. ج ١ / ٣٣٣.

أي لا يُزايِلها ولا يتركها كالطوق في عنق الحمامة.

ومما يدل على ألفة الشاعر العربي لطائر الحمام؛ أنه تابع حياة هذا الطائر، وربط جزءاً من حياته به، حتى أنه دقق في طبائعه وحدد ما يميزه عن سائر الطيور؛ فوجد أن الحمام أشد أنواع الطيور طيراناً.

ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثرت من الحمام فإنها إذا التقت ضاق موضعها وكان أشد لطيرانها.

وقد انتبه النابغة الذبياني لهذا الجانب في قوله^(١):

أَحْكُمُ كَحْكُمِ فَتَاةَ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَتَتَبَعُهُ مِثْلَ الزُّجَاجَةِ لَمْ تَكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ

من قصيدة للنابغة يخاطب بها النعمان بن المنذر ويُعاتبه، ويعتذر إليه ممّا أتهم به عنده، ويطلب منه: إذا حكم في أمره أن يكون حكيماً كهذه الفتاة - ويقصد بها: زرقاء اليمامة - أي: أصيب في أمري كإصابتها في إبصارها بالنظر الصحيح.

والشاعر العربي - وإن ربط في شعره الشجن والحزن بالحمام - قد أكثر في شعره من ذكر "طائر الغراب" وربط بينه وبين الشؤم، وجرت على لسان العربي أمثالٌ كثيرة خُصصت بذكر هذا الطائر الأسود.

فالعرب تقول:

"فلان أبصر من الغراب"؛ لحدة بصر الغراب.

وتقول: "فلان أحذر من غراب"؛ لشدة حذر الغراب.

(١) ديوان النابغة، ص ١٩.

وتقول: "هذا بأبيه أشبه من الغراب"؛ لأن الغرابان تتشابه إن لم نقل تتماثل.

وتقول: "وجد ثمرة الغراب"؛ ذلك أن الغراب يتبع أجود التمور فينتقيها^(١).

وغيرها من الأمثال.

والعرب تقول:

أغرّبة العرب وهم: سودانهم، شبهوهم بالأغرّبة في لوهم، ومن الأغرّبة في

الجاهلية: عنترّة بن شداد، والسليك بن السلّكة، وخفاف بن ندبة السلمي.

وهشام بن عقبة بن أبي معيط وغيرهم^(٢).

والغراب رمزٌ تشاؤم في كثير من أشعار العرب....

ومن تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه: الغرّبة والاعتراب.

واشتقوا من اسمه: الغريب "صفة اللون شديد السواد"^(٣).

وأما تسميته "أي الغراب" بغراب البين جاء في كتاب الحيوان: "وكل غراب

يقال له: غراب البين، إذا أرادو به الشؤم، أما غراب البين نفسه فغراب صغير، وإنما

قيل لكل غراب "غراب البين"؛ لسقوطه في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها"^(٤).

(١) تاج العروس. للزبيدي. مادة: غرب.

(٢) لسان العرب. لابن منظور. مادة: غرب.

(٣) الحيوان. للجاحظ. ج ٢ / ٣١٦.

(٤) الحيوان. للجاحظ. ج ٣ / ٤٣١.

ولذلك كره العرب رؤية الغراب لأنه يدل على تفرق الأحبة ونأيهم عن ديارهم، ولشدة بغض العرب للغراب فإنه عدواً أكل لحمه عاراً؛ فيتعايرون بأكل لحمه... (١).

والغريبان جنس من الأجناس الخمسة التي أمر الشرع بقتلها في الحل والحرم وهي من الفواسق.

لحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: "خمس فواسق يقتلن في الحرم". وذكر منها الغراب" (٢).

وتُطلق العرب على صوت الغراب "نعيق" بالمهملة و "نعيق" بالمعجمة؛ يقول بشار بن برد (٣):

يَا رَبِّ قَائِلَةٌ - وَعُيِّبَ عِلْمُهَا -
مَاذَا يَهْجُوكَ مِنْ نَعِيقِ غُرَابٍ

يُنكر بشار بن برد على من ينكر عليه نفرته واضطرابه من نعيق الغراب، وأن لا علم لدى من ينكر عليه بماذا ينطق الغراب، لاختلاف لسان التعبير بينهما.

ويقول المفضل النكري (٤):

تَرَكْنَا الْعُرْجَ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ
وَاللَّغْرِبَانَ مِنْ شَبَعِ نَعِيقِ

(١) المصدر السابق. ج ٢ / ٣١٧.

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٣١٤.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص ٥٦.

(٤) الأصمعيات، ص ٦٠.

في البيت يذكر الشاعر: أنه انتصر من أعدائه وقتلهم وتركهم صرعى وجيفاً
وأن الضباع تأكل من لحومهم والغربان كذلك.

وهناك من يُطلق عليه: نعيب، وأنشد الجاحظ^(١):

خَرَّ غُرَابُ الْبَيْنِ مِنْ حَالِقٍ لَهُ نَعِيبٌ فَرَشَقْنَاهُ

يحكي الشاعر مشاعرهم البغيضة للغراب، فما أن رأوه هبط على الأرض وسمعوا
نعيبه؛ إلا بادروه برشقه بالحجارة.

وغراب البين مُتنوع الأوصاف في شعر العرب؛ ومن ذلك قول عنتره بن شداد
العبيسي^(٢):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْ كُنْتَ صَاحِبِي قَطَعْنَا بِأَلَدِ اللَّهِ بِالْـدَّوْرَانِ

وصف الشاعر الغراب بالعشوائية والحركة دون هدف.

وأبو حية النميري^(٣):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ فِيمَ تَصِيحُ لَصَوْتِكَ مَشْنُوءٌ إِلَيَّ قَبِيحُ

في البيت يخاطب الشاعر الغراب ويسأله عن سبب صياحه، ويخبره بشناعة صوته
لديه، وكأنه ما سمع هذا الصوت إلا وكان وراءه خير سوء لارتباط صوته بالأحداث
غير السارة لديه.

(١) البديع في نقد الشعر، ص ١٤٣.

(٢) ديوان عنتره، ص ١٨٠.

(٣) ديوان أبي حية النميري، ص ١٢٧.

يقول قيس بن ذريح^(١):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مَا لَكَ كَلَمًا تَذَكَّرْتُ لُبْنِي طَرْتُ لِي عَنْ شِمَالِيَا

ويخاطب الشاعر الغراب مستفهماً مُعَاتِباً: لماذا كل ما تذكرت لبني طرت لي عن الشمال، وهذا نذير شؤم لدى الشاعر، وفي الإشارة إلى الشمال دلالة على الطيرة وزيادة التألم في المستقبل، وانعدام الأمل في لقاء المحبوبة.

ويقول أيضاً^(٢):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طَرْتُ بِالَّذِي أَحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعُ

يخاطب قيس بن ذريح الغراب بقوله: لقد طرت بالذي أحاذر... أي أخاف أن أفقده فيسبب لي فقدانه الضرر وكذلك محبوبتي: لبني، والذي طار به الغراب هو: الحِرز، الذي أحرز به الشاعر لبني خوفاً عليها من الضياع.

وتقول حوله بنت الأزور الكندية^(٣):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي فَهَلْ بِقُدُومِ الْغَائِبِينَ تُبَشِّرُنَا

الشاعرة يائسة من قدوم الأحبة وترى في رؤية الغراب دلالة على أن الغائبين سيطول غيابهم، وأن أملها اضمحل وتلاشى بسبب رؤيتها هذا الغراب المشؤوم.

(١) ديوان قيس لبني، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٣) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ج ١، ص ١٧٣.

ويقول ابن الدمينة^(١):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مِمَّ تَلِيحُ لِي كَلَامُكَ مَشْنِيٍّ وَأَنْتَ صَرِيحُ

يخاطب الشاعر الغراب فيقول: لماذا تعرض لي؟ إني لأبغض صوتك ورؤيتك،

فكأن الشاعر لا يرى المصائب إلا مع رؤية هذا الغراب.

ويقول كثير عزة^(٢):

أِنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِرَّةٌ وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ: أَنْتَ حَزِينُ؟

وهنا يخاطب الشاعر نفسه بقوله: إذا حُمِلت الأمتعة على الجمال وفارق

الأحباب وصاح الغراب بالبين والفراق؛ أتخزن عليهم، وفي هذا إشارة إلى تواجد

الغراب فيما بعد الضعن والفراق، وجعل ذلك من أوصافه.

ويقول يزيد بن الطثرية^(٣):

وَصَاتُكَ بِالْعُهُودِ فَقَدْ رَأَيْتَنَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَوْقَعُ ثُمَّ طَارَا

وهنا يُوصي الشاعر بالعهود ويُشدّد على ذلك، ويُبيّن أن سبب ذلك رؤيته

غراب البين نزل في الديار ثم طار؛ وهذا نذير شؤم لدى الشاعر.

(١) ديوان ابن الدمينة، ص ٣٤.

(٢) ديوان كثير عزة، ص ١٧٠.

(٣) ديوان يزيد بن الطثرية، ص ٤٠.

ويقول أبو نواس^(١):

وَالْعَنَ غُرَابَ الْبَيْنِ بَغْضًا لَهُ فَإِنَّهُ دَاعِيَةُ الشُّومِ

وهنا يطلب الشاعر أن يُلعن غراب البين وأن يُسب لأنه داعية شؤم وفراق ومصائب، وهذا من أقبح أوصافه.

ويقول أبو الطيب المتنبي^(٢):

أَبْنِي أَيْيَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ

وهنا يحكي المتنبي أن دياره وديار أهله أنها مرتع للمصائب؛ فغراب البين دائم النعيق فيها.

وتقول فاطمة بنت الحسين رضي الله عنها^(٣):

نَعَقَ الْغُرَابُ فَقَلْتُ مَنْ تَنَعَاهُ وَيَحَاكَ يَا غُرَابُ

وتخبر هنا الشاعر: أنها فزعت وخافت حين سمعت نعيق الغراب، فتساءلت من تخبرنا بنعيه وفقده يا غراب.

ويقول هدبة بن الخشرم^(٤):

يُخَبِّرُنَا الْغُرَابُ بِأَنْ سَتْنَا حَبَائِبُنَا فَقَدْتُكَ يَا غُرَابُ

(١) ديوان أبي نواس، ص ٤٠٨.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢١٦.

(٣) تاريخ ابن عساكر، ج: ٧٠، ص ٢٤.

(٤) ديوان هدبة بن الخشرم، ص ٦٣.

وهنا يُخبر الشاعر: أن الغراب أخيره - بنعيقه ونعييه - بأن سيفارق أحبابه؛

فأخذ يدعو على الغراب بالموت، فقدتك يا غراب.

وختلاصة القول:

أن غالب نظرة العرب للغراب: أنه طائر خبيث كره العرب رؤيته؛ لأنه عندهم

يُنذر بالموت والبلاء، وتفرق الأحبة، وله صفات خُصَّت به من دون الطيور

الأخرى...

القطاة والقمري

ومما ذكره الشعراء من الطيور: "القطاة"، القطاة: واحدة القطا، وهو نوع من الحمام، يُؤثر الحياة في البراري، ويتخذ عشه "أفحوصه" على الأرض - وليس على أغصان، ويطير جماعات مُتحدة^(١).

يقول الحطيئة^(٢):

حَصَانٌ لَهَا فِي الْبَيْتِ زَيٌّْ وَبَهْجَةٌ وَمَشِيٌّ كَمَا تَمْشِي الْقَطَاةُ قُطُوفٌ

يصف الحطيئة: فتاة بأوصاف عفيفة ذات جمال في جسدها ولبسها ولها مشية كمشية القطاه فيها بطاء وثقل.

ويقول الطرماح^(٣):

كَحُلُقُومِ الْقَطَاةِ أَمْرٌ شَزْرًا كَأَمْرَارِ الْمُحَدْرَجِ ذِي الْأَسْوَنِ

يشبه الحبل وهو مشدود بحلقوم القطاة شدّ كشدّ السوط.

ويقول النابغة الجعدي^(٤):

عَلَى أَنْ حَارَكَهُ مُشْرِفٌ وَظَهَرَ الْقَطَاةَ وَلَمْ يَحْدَبِ

(١) المعجم الوسيط. "القطاة"

(٢) ديوان الحطيئة، ص ٥٨.

(٣) ديوان الطرماح، ص ٨٣.

(٤) ديوان النابغة الجعدي، ص ٣٧.

في البيت يصف الشاعر: مُلتقى كتفي الفرس بأنه مرتفع كظهر القطة، وفيه دلالة على أصالة هذا الفرس.

ويقول جرير^(١):

وَيَوْمٍ كَابَهَامِ الْقَطَاةِ مُزَيْنٍ إِلَيَّ صِيبُهُ غَالِبٍ لِي بَاطِلُهُ

يصف الشاعر أياماً تمر عليه وجد فيها راحته ولم يتكدر فيها عيشه، ولكن هذه الأيام كانت قصيرة في حياته كإهتام القطة.. ويضرب بها المثل في القصر.

ويقول الحسل الهمداني^(٢):

تُخْبِرُنِي بِالتَّجَاةِ الْقَطَاةُ وَقَوْلُ الْغُرَابِ لَهَا شَاهِدُ

في البيت يتفاءل الشاعر بالنجاة والفك من الأسر، وقد أسره الأعداء ويقول: بأن القطة قد خبرته بنجاته، والغراب الذي لا يُبشر إلا بالشر، شهد لها بذلك وهذا تأكيد منه لنفسه بالنجاة والسلامة.

ويقول الشنفرى^(٣):

عَلَيْهِ نَسَارِيٌّ عَلَى خَوْطِ نَبْعَةٍ وَفَوْقِ كَعْرَقُوبِ الْقَطَاةِ مُدْحَرَجِ

يصف الشاعر نفسه بأن عليه ملابس ممزقة وبالية، وجسمه من تحتها خفيف في حركته ومشيته؛ ليدل على سرعته، ويذكر أن معه سهماً كعرقوب القطة مدحرج يصيب به ما يشاء ويصيده.

(١) ديوان جرير، ص ٣٣١.

(٢) في تاريخ الأدب الجاهلي، ج ١، ص ٧١.

(٣) ديوان الشنفرى، ص ٤٠.

ومن أشباه القطاة؛ يأتي طائر "القمرى".

والقمرى هو: نوع من الحمام، حسن الصوت، ذو منظرٍ جميل، ويُجمع على: قمارى وقُمر^(١).

يقول البحتري^(٢):

لَمَّا رَثَيْتَ رَجَاءً خِلْتُ أَنَّكَ قَدْ ثَارَتْهُ بِبُكَاءِ الْقُمْرِيِّ فِي الْفَنَنِ

في البيت يهجو البحتري: الحسن بن رجاء؛ لأنه ترك معاونة أبيه ونصرته حتى قُتل، فلم يأخذ بثأره إلا بالبكاء كما يبكي القمريّ على الأغصان.

ويقول أبو تمام^(٣):

سَاقٌ عَلَى سَاقٍ دَعَا قُمْرِيَّةً فَدَعَتْ تُفَاسِمُهُ الْهُوى وَتَصِيدُ

وأبو تمام يصف في هذا البيت: أن ذكر الحمام أو القمري كان على ساق الشجرة "غصناً" يدعو بغنائه قمرية فجاوبته بسجعها مشاركة له في الهوى والحب.

ويقول بشار بن برد^(٤):

إِذَا هَتَفَ الْقُمْرِيُّ رَاجِعَنِي الْهُوى بِشَوْقٍ وَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي مِنَ الْوَجْدِ

(١) المعجم الوسيط. "القمرى".

(٢) ديوان البحتري، ص ٩٦٣.

(٣) ديوان أبي تمام، ص ٢١٥.

(٤) ديوان بشار بن برد، ص ١٣٩.

ويخبر الشاعر عن مالك عند سماعه صوت القمريِّ وغناؤه يتجدد الهوى والشوق
فما هو إلا وتسيل دموعه على خديه من الفقد لمن يُحب ويشتاق إليه.

ويقول الشريف المرتضى^(١):

لَا جِرْسَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ صَدَحَتْ قُمْرِيَّةٌ أَوْ قَعَقَعَ الرَّعْدُ

يصف الشاعر الديار وقد اندرست وخلت من أهلها فلست تسمع فيها صوتاً
إلا صياح القمرية أو صوت الرعد.

ويقول خلف الأحمر^(٢):

وَقَدْ شَاقِنِي نَوْحُ قُمْرِيَّةٍ طَرُوبِ الْعَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحَى

حرّك مشاعر الحب والشوق في نفس الشاعر سماعه تغريد القمرية، تغريداً
يُطرب بالليل، ويشجى بالنهار.

وتقول فاطمة الزهراء^(٣):

فَإِذَا بَكَتْ قُمْرِيَّةٌ فِي لَيْلِهَا شَجْنَاً عَلَى غُصْنِ بَكِيْتِ صَبَاحِيَا

في البيت تحكي لنا الشاعرة: حالة الحزن التي تعيشها وبأنها تصبح في يومها
حزينة باكية كل ما سمعت بكاء القمريِّ ليلاً.

(١) ديوان الشريف المرتضى، ص ٥٧٩.

(٢) ديوان خلف الأحمر، ص ١٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد، ص ٢٨٩.

وتقول فاطمة بنت الأحجم الخزاعية^(١):

وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةً شَجْنَا لَهَا يَوْمًا عَلَيَّ فَنَنْ دَعَوْتُ صَبَاحِي

تقول الشاعرة: إذا ناحت قمرية على غصن وهي تدعو حزنها ليتهيج بكاؤها
فإني أشجي لصوتها داعيةً صباحي، أي قائلةً: واصباحاه!

ويقول ابن الرومي^(٢):

إِنْ تُعَلِّلُ قُمْرِيَّةً الْأَنْسَ قَلْبِي فَبِمَا رَاعَهُ الْغَرَابُ التَّعُوبُ

يتساءل الشاعر عن سبب روعة وخوفه من صوت الغراب!! لما استقرّ في نفس
الشاعر من أن الغراب نذير شؤم إذا نعب بصوته مع أن صوت القمرية تؤنس قلبه.

ويقول العرجي^(٣):

وَأَبْكِي مَعَ الْقُمْرِيِّ ذِي الشُّجُوِّ بِالضُّحَى إِذَا هَتَفَ الْقُمْرِيُّ أَوْ بِالْأَصَائِلِ

ويحكي العرجي عن حاله وما يكابده من هوى وشوق: بأنه يبكي إذا سمع
صوت القمرية نهاراً أو ليلاً.

ويقول ابن المعتز^(٤):

لَا تَنَامُ اللَّيْلَ مِنْ حُبِّي وَإِنْ غَرَّدَ الْقُمْرِيُّ زَارَتْ فِي الْغَلَسِ

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج ١، ص ٥١.

(٢) ديوان ابن الرومي، ص ١٧.

(٣) عبد الله بن عمر العرجي، "حياته وشعره" ص

(٤) ديوان ابن المعتز، ص ٢٥٩.

يصف الشاعر حال محبوبته وأنها: من حبها له لا تنام الليل، وأنها كلما سمعت
تغريد القمريّ هاج حُبي في قلبها وزارني بالليل.

ويقول أيضا^(١):

وَسَطَ غَابٍ وَأَيْكَةٍ يَتَغَنَّى فَوْقَ أَغْصَانِ أَيْكِهَا الْقُمْرِيُّ

يخبر الشاعر عن أماكن القمري التي يتغنى فيها على الأغصان بين الأشجار في
وسط الغاب.

ويقول أبو نواس^(٢):

فَأَبْقَاهُ رَبُّ النَّاسِ مَا حَنَّ وَالِئَهُ وَمَا فَرَفَرَ الْقُمْرِيُّ يَوْمًا وَغَرَّدَا

يدعو الشاعر بطول عمر الممدوح ما دام في الأرض يحن لمحبوبته عاشق، وفرفر
القمري بجناحيه وغرّد.

ويقول الصنوبري^(٣):

أَلَا يَا أَيُّهَا الْقُمْرِيُّ كَمْ ذَا تُغَرِّدُ فِي الرِّوَّاحِ فِي الْبُكُورِ

ويقول أيضا^(٤):

سَابِكِي مَا بَكَى الْقُمْرِيُّ بِنْتِي بَبْحَرٍ مِنْ دُمُوعِي بَلْ بُحُورِ

البيتان من قصيدة قمت بشرحها في المبحث الأول من الفصل الثاني ص ٩٧.

(١) المصدر السابق، ص ٤٣٤.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ١٧٩.

(٣) ديوان الصنوبري، ص ٩٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٧.

الطيور الجارحة

ومما ذكره العرب في أشعارهم من الطيور: "الصقر".

والصقر هو: طائر من الجوارح، يُستخدم في الصيد، مشهورٌ بجدة البصر، ويُجمع على صقور وأصقُر^(١).

يقول زهير بن أبي سلمى^(٢):

يَكُنْ كَالْحُبَارَى إِنْ أُصِيبَتْ فَمِثْلُهَا أُصِيبَ وَإِنْ تُفْلِتَ مِنَ الصَّقْرِ تَسْلِحُ

في البيت يصف الشاعر من يظلم الناس ويأخذ حقوقهم، وتحاول النجاة من نقمة الناس بحال الحبارى مع الصقر إذا هجم عليها.

ويقول العباس بن مرداس^(٣):

ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جَسُومًا وَلَمْ تَطُلِ الْبُزَاةُ وَلَا الصُّقُورُ

في البيت يصف الشاعر بأن العبرة في رباطة الجأش وقوة القلب، لا في طول الجسم وعظمه وأن أضعف الطيور هي العظيمة في حجمها، وأن الصقور والبزاة ليست بعظيمة الحجم ومع ذلك فقد سادت على الطيور.

(١) المعجم الوسيط. "الصقر"

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ص ٤٦٨.

ويقول المرقش الأكبر^(١):

فَانْقَضَ مِثْلَ الصَّقْرِ يَقْدُمُهُ جَيْشٌ كَغُلَانِ الشُّرَيْفِ لَهُمْ

في البيت يصف الشاعر المدوح في قتاله أعداءه وشدة بأسه عليهم بانقضاض الصقر ويصف جيشه وكثرتهم بأشجار الغابة.

ويقول حارثة بن أوس الكلبي^(٢):

ذُنَابِي حُبَارَى أَخْطَأَ الصَّقْرُ رَأْسَهَا فَجَادَتْ بِمَكُونٍ مِنَ السَّلْحِ يَثْعَبُ

في البيت يهجو الشاعر رجلاً، ويصفه بالجن كالحبارى تسلح خوفاً من الصقر عندما أخطأت الرجل رماح الشاعر.

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣):

أَنَا الصَّقْرُ الَّذِي حُدِّثَ عَنْهُ عِتَاقُ الطَّيْرِ تَنْجَدِلُ انْجِدَالاً

في البيت يفخر الشاعر بنفسه ويقول: إنه في القتال مثل الصقر إذا رآته الطيور تنصرع خوفاً ورعباً منه.

ويقول تميم بن أبي^(٤):

فَأَخْطَلُ إِنْ تَسْمَعُ خَوَاتِي تَوْفِي كَمَا يَتَّقِي فَرُخُ الحُبَارَى مِنَ الصَّقْرِ

(١) ديوان المرقشين، ص ٧٠.

(٢) كتاب: نثر الدر، ج ٢، ص ١٣.

(٣) ديوان علي بن أبي طالب، ص ٨٦.

(٤) ديوان تميم بن أبي، ص ٩٢.

يُهدد الشاعرُ في هذا البيت الأخطلَ ويقول له: إذا سمعت صوتي وصحبي
فتجنّبي تجنّب فراخ الحبارى من الصقر.

ويقول أبو العلاء المعري^(١):

وإن لم تر الصَّقرَ الحَمَامَةَ دَهْرَهَا فَمِنْ شِيَمِ الوُرُقِ الحِذَارُ مِنَ الصَّقْرِ

من طبع الحمام الخوف والحذر من الصقر، وإن لم تره في حياتها، فهناك أمور
يرجع فيها إلى الطبع ولا يشترط المشاهدة أو التجربة.

ويقول الشريف المرتضى^(٢):

يَهْوِي إِلى قَنْصِ النُّفُوسِ كَمَا يَهْوِي إِلى فُرْصَاتِهِ الصَّقْرِ

يصف الشاعر في هذا البيت قوة وبسالة الممدوح في اقتناص أعدائه في المعركة
ويشبهها باقتناص الصقر فرصاته.

ويقول الشريف الرضي^(٣):

عَالٍ عَلى نَظَرِ الأَعْدَاءِ يَلْحَظُهُم لَوَاحِظَ الصَّقْرِ فَوْقَ المَرَبِّ العَالِي

يصف الشاعر الفارس ونظره إلى أعدائه واقتناصه لهم وملاحظتهم بالصقر وهو
في المكان المرتفع يقتنص فرائسه.

(١) ديوان أبي علاء المعري، ص ١٢٩.

(٢) ديوان الشريف المرتضى، ص ٨١٣.

(٣) ديوان الشريف المرتضى، ص ٣٤٩.

ويقول طرفة بن العبد^(١):

فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمٌ نَحْسٍ تُطَارِدُهُنَّ بِالْحَدَبِ الصُّقُورُ

في البيت يصف الشاعر يوم طير الكروان بيوم النحس حين تطارده الصقور في
مكان مرتفع.

ويقول جرير^(٢):

هُمُ الْأَخْيَارُ مَنْسِكَةٌ وَهَدِيًّا وَفِي الْهَيْجَا كَأَنَّهُمُ الصُّقُورُ

الشاعر في البيت يمدح قوماً ويصفهم بأنهم خير الناس أخلاقاً وحلماً وفي الحرب
كالصقور في القوة والشجاعة.

ويقول البحتري^(٣):

بِفَوَارِسٍ مِثْلِ الصُّقُورِ وَضُمِّرٍ مَجْدُولَةٍ كَكَوَاسِرِ الْعُقْبَانِ

يصف الشاعر الفرسان في المعركة بالصقور والعقبان الكاسرة في قوتها وسرعة
انقضاضها على العدو.

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص ١٣.

(٢) ديوان ابن جرير، ص ٢٣٠.

(٣) ديوان البحتري، ص ٨٩٠.

ومما ذكره العرب في أشعارهم من الطيور: "النسر".

وطائر النسر هو: طائر من الجوارح، حاد البصر وقوي، وهو من أكبر الطيور حجماً، ويوصف بالجبن؛ لأنه يتغذى بالجيف^(١).

ويقول الراعي النميري^(٢):

بِمَلْحَمَةٍ لَا يَسْتَقِلُّ غُرَابُهَا دَفِيفًا وَيُمْسِي الدِّبُّ فِيهَا مَعَ النَّسْرِ

يُخبر الشاعر عن كثرة القتلى وأن الغراب لا يطير مخلقاً ولكنه يطير عن قتيل إلى قتيل وفي أكل لحوم القتلى يجتمع الذئب مع النسر.

ويقول أبو فراس الحمداني^(٣):

وَقَوْمٌ مَتَى مَا أَلَقَهُمْ رَوِي الْقَنَا وَأَرْضٌ مَتَى مَا أَغْرَاهَا شَبَعَ النَّسْرِ

يفخر الشاعر بقوته وشجاعته وأنه إذا لقي قوماً؛ قام فيهم يقتل ويطعن حتى يرتوي السيف، وان الأرض التي يغزوها يشبع فيها النسر من كثرة ما يترك فيها من جثثٍ وقتلى.

ويقول ابن أبي حصينة^(٤):

إِنْ يَصْدُقُوا فَسَيُوفٌ مِّنْ تَرَكْتَهُمْ صَرَعِي تَهْزُهُمُ النَّسُورُ الْحُومَ

في البيت يفخر الشاعر بفعله في أعدائه، وأنهم إن صدقوا في القول سيأكدوا من قوله في فعله بهم وأنهم صرعى تأكل أجسادهم النسور.

(١) المعجم الوسيط. "النسر"

(٢) ديوان الراعي النميري، ص ٩٧.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ١٠٣.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، ص ١٩٣.

ويقول تأبط شرا^(١):

وَإِنْ تَقَعَ النَّسُورُ عَلَيَّ يَوْمًا فَلَحْمُ الْمُعْتَفَى لَحْمٌ كَرِيمٌ

البيت من قصيدة أنشدها الشاعر مفتخرًا؛ يقول: إن قُتلت وأصبح جسدي
طعاماً للنسور؛ إنه للحم كريم.

(١) ديوان تأبط شرا، ص ٣٤.

ومما ذكره العرب في أشعارهم من الطيور: "العقاب".

وطائر العقاب هو: من كواسر الطير، قوي المخالب، حاد البصر^(١).

يقول الأعشى^(٢):

كَفَّوْا إِذْ أَتَى الْهَامِرُ تَخْفِيقُ فَوْقَهُ كَظَلَّ الْعُقَابُ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتْ

البيت من قصيدة يمدح الشاعر قبيلة بني شيبان حين هزموا الفرس ومنعوا جيش الفرس وقائده الهامر بن رحمي النعمان بن المنذر ووصف رايات جيش الفرس بظلال أجنحة العقاب.

وتقول الخنساء^(٣):

فَأَتَتْ بِهِ أَسْلُ الْأَسِنَّةِ ضَامِرٌ مِثْلُ الْعُقَابِ غَدَتْ مَعَ الْوَكْرِ

البيت من قصيدة للشاعرة تحرض فيها قومها على الأخذ بثأر أخيها صخر، وتصف في البيت سرعة الرمح بالعقاب الذي يهب من وكره.

ويقول الشريف الرضي^(٤):

أَقْبَلْنَ مِثْلَ السَّيْلِ صَوَّبَ عُنُقَهُ نَشَزُ الْعُقَابِ إِلَى قَرَارِ الْوَادِي

يصف الشاعر في البيت سرعة خيله في حربه ضد أعدائه ويشبه ذلك بهبوط العقاب من عالي السماء.

(١) المعجم الوسيط. "العقاب"

(٢) ديوان الأعشى، ص ٣٢.

(٣) ديوان الخنساء، ص ٢٩.

(٤) ديوان الشريف الرضي، ص ٢٧٤.

ويقول الشنفرى^(١):

أَنَا السَّمْعُ الْأَزْلُ فَلَا أَبَالِي وَلَوْ صَعِبَتْ شَنَاخِيْبُ الْعُقَابِ

في البيت يفخر الشاعر بنفسه وأنه قويّ السمع سريع الحركة؛ قالها لقومه عندما أرادوا القبض عليه وقتله عند وروده الماء، وأنه لا يبالي في صبره ومنعه عن الماء.

ويقول المتنبي^(٢):

يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِيَهُ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحِيهَا الْعُقَابُ

يصف الشاعر المتنبي سيف الدولة بطائر العقاب ويصف جيشه بجناحي العقاب فكأنه عقاب يُحرك جناحيه وهي صورة فنية جميلة.

ويقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي^(٣):

ذُرُونِي وَذَاكَ الْفَارِسِيَّ فَاثْنِي سَأَخْطِفُهُ خَطْفَ الْعُقَابِ الْمُخَالِسِ

في البيت تهديد ووعيد من الشاعر لأحد الأعاجم، ويطلب ممن حوله أن يدعوه ليخطف رأسه كما يخطف العقاب فريسته خطفاً سريعاً.

(١) ديوان الشنفرى، ص ٣٠.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٧.

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص ١٣٤.

الطيور الأليفة

ومما ذكره الشعراء في شعرهم من الطيور: "الديك".

يقول ابن المعتز^(١):

قَدْ نَعَا الدِّيكُ الظَّلَامَا فَاسْتَقِنِي الرَّاحَ المُمْدَامَا

يخبر الشاعر بأن الديك أخبرهم بصياحه عن ذهاب الليل، فطلب من الخادم أن يسقيه الخمر.

ويقول أبو نواس^(٢):

غَرَّدَ الدِّيكُ الصَّادُوْحُ فَاسْتَقِنِي طَابَ الصَّبُوْحُ

وهنا يخبر أبو نواس عن صياح الديك مُعلنًا دخول أول النهار - الصبح - فطلب من الساقى أن يسقيه الخمر فنعى الشرب؛ الشرب في أول النهار.

ويقول أبو نواس أيضًا^(٣):

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاتَتْ تَعْلُنِي عَلَى وَجْهِ مَعْبُودِ الجَمَالِ رَحِيمِ

في البيت وصف لليلة عاشها الشاعر مع خمرة صافية كعين الديك بات يشرب منها على وجه جميل وحسن.

(١) ديوان ابن المعتز، ص ٣٩٠.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ١٤٠.

(٣) ديوان أبي نواس، ص ٤٢٦.

ويقول البحتري^(١):

وَلَمْ نَفْتَرِقْ حَتَّى تَنَى الدَّيْكَ هَاتِفًا وَقَامَ المُنَادِي بِالصَّلَاةِ يُنَادِي
وهنا البحتري يحكي: أن لقاء جمع بينه وبين من يُحب ليلاً، ولم يفترقا حتى
صاح الديك وقام المؤذن ينادي لصلاة الفجر.

ويقول حماد عجرد^(٢):

عُقَارٌ مِثْلُ عَيْنِ الدَّيْكِ صِرْفٌ كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ
يصف الشاعر الخمر في لوها كعين الديك، خمر خالصة من الشوائب، كأن
بارق لوها كلهب السراج في اللمعان.

ويقول عمر بن أبي ربيعة^(٣):

وَمُدَامٍ عُنُقْتُ فِي بَابِلٍ مِثْلَ عَيْنِ الدَّيْكِ أَوْ خَمْرِ جَدَرٍ
يخبر الشاعر عن خمر عُنُقْتُ في العراق، لوها وصفائها كعين الديك، أو أنها
عُنُقْتُ في بلاد الشام وكانت العرب تُعتق الخمر في الجاهلية بدفنه في التراب سنيماً.

(١) ديوان البحتري، ص ٢٠٨.

(٢) الموسوعة الشعرية.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ١١٩.

ومما ذكره الشعراء في شعرهم من الطيور: "الدجاجة".

يقول ابن الرومي^(١):

بِعْ بِنَاناً فَأَنْتَ عَنْهَا غَنِيٌّ إِنَّمَا يَقْتَنِي الدَّجَاجَةَ دِيكُ

البيت من قصيدة يهجو فيها الشاعر، وفي البيت يأمره متهمكاً ومستهزئاً أن يبيع بناناً - جارية له - لأنه ليس أهلاً أن تكون له جارية.

ويقول الأخطل^(٢):

تَرَى العِرْمَسَ الوَجْنَاءَ يَضْرِبُ حَاذَهَا ضَيْلٌ كَفَرُوجِ الدَّجَاجَةِ مُعْجَلُ

يُخبر الشاعر عن الناقة العظيمة يسوقها رجل ضعيف كساقى الدجاجة وفيه دلالة على مطاوعة هذه الناقة وأصالتها بمعرفة ربها.

ويقول إسماعيل بن عمار الأسدي^(٣):

وَسَاقٌ يُخْلِجُهَا خَاتَمٌ كَسَاقِ الدَّجَاجَةِ أَوْ أَحْمَشِ

يصف الشاعر في هذا البيت: ساقاً دقيقة في حجمها؛ حتى إنك لو وضعت خاتماً في هذا الساق لتخللها من شدة دقته، كساق الدجاجة أو أنه أدق منها.

(١) ديوان ابن الرومي، ص ٧١٩.

(٢) ديوان الأخطل، ص ١٤١.

(٣) الموسوعة الشعرية.

ويقول النمر بن تولب^(١):

وَمَا تُعْنِي الدَّجَاجُ الضَّيْفَ عَنِّي وَلَيْسَ بِنَافِعِي إِلَّا نَضَاجَا

في هذا البيت لا يرى أن الدجاج محلاً لإكرام الضيف، وهو كذلك لن ينتفع بالدجاج إلا في حال نضجه وأكله؛ بمعنى لا فائدة منه سوى الأكل.

ويقول يحيى بن الحكم "الغزال"^(٢):

مَا أَرَى هَهُنَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا ثَعْلَبًا يَطْلُبُ الدَّجَاجَ وَذِيَا

وهنا يصف الشاعر حال بعض الناس وما أصبحوا فيه من الخيانة وأكل بعضهم حقوق البعض ووصفهم بالذئاب والثعالب التي تختال لتأكل الدجاج.

ويقول رؤبة بن العجاج^(٣):

عَنْ صَبِيَّةٍ كَأَفْرُخِ الدَّجَاجِ يَا فَضْلُ يَا ابْنَ الْأَجْمِ الْأَبْرَاجِ

في البيت يستجدي الشاعر الممدوح ويطلب منه الإعانة بعباء، ويصف حال من يعول من أولاده بأنهم صغار يخشى هلاكهم من شدة الجوع والفاقة، وكأنهم فروخ الدجاج من شدة الضعف.

(١) ديوان النمر بن تولب، ص ٥١.

(٢) ديوان يحيى بن الحكم، ص ٣٢.

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج، ص ٣٣.

ومما ذكره الشعراء في أشعارهم من الطيور: "القبرة".

والقبرة تعتبر من فصيلة العصافير، شديدة الحذر، وتُعرف بالتغريد في الحقول،
وتُجمع على: قبرات^(١).

يقول أبو العلاء المعري^(٢):

وَاجَهْتَ قُبْرَةً فَخِفْتَ تَطْيِيرًا مَا كُلُّ مَيْتٍ لَا أَبَالَكَ يُقْبَرُ

في البيت يُعاتب أبو العلاء كل من يتطير ويخاف من القبرة، ويقول ما كل
الأموات تُقبر وتُدفن، فما تطيرك بالقبرة سيضمن لك موتك على فراشك.

ويقول طرفه بن العبد^(٣):

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَائِكَ الْجَوْ فَيِضِي وَاصْفِرِي
قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ فَمَاذَا نَحْذِرِي وَنَقَّرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي
قَدْ ذَهَبَ الصَّيَّادُ عَنْكَ فَابْشِرِي لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُصَادِي فَاصْبِرِي

صفوة هذا المبحث وخُلاصته:

مما سبق عرضه ومناقشته وتفصيله؛ تتضح مكانة الطير، وحضوره الواضح البين
في الشعر العربي، وإن كان هناك تفاوت في ذكر بعض أنواع الطيور في الحقبة الزمنية
- قيد دراسة البحث الحالي-، وكيف أن الشاعر العربي كان يذكر الطير في شعره،
ويستأنس به ويخاطبه ويناجيه في صور فنية جميلة.....

(١) المعجم الوسيط. " القبرة "

(٢) ديوان أبي العلاء المعري، ص ٢٤٨.

(٣) ديوان طرفه بن العبد، ص ١٢.

المبحث الثاني

الطير والمعتقدات الأسطورية عند العرب

الأساطير: جمع أسطورة وأسطيرة وإسطارة.

وهي: الأباطيل والأحاديث العجيبة^(١).

وقيل هي: الأباطيل والأحاديث التي لا نظام لها^(٢).

واستخدمت كلمة الأساطير في القرآن الكريم بمعنى الأحاديث الموروثة من

القدماء، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا

أَسْطِيرَ الْأُولِينَ﴾^(٣).

أي: ما سطوروا من أعاجيب الأحاديث وكذبها. وفي هذا إشارة واضحة بأن

المشركين العرب في زمن (النبي صلى الله عليه وسلم) كانوا يعلمون بأن هناك تراثاً

"مسطوراً" وضعه الأولون، ويبدو أنهم يحتفظون في أذهانهم ببعض معالمه.

والعرب كانت تعرف وتروى الكثير من الأساطير في مختلف المجالات (الدينية -

والبيئية - والحضارية).

(١) المعجم الوسيط.

(٢) لسان العرب. مادة: سطر.

(٣) سورة الأنفال: آية رقم ٣١ - ٣٢

ومن هذه الأساطير- نذكر بعضها إجمالاً دون التفصيل فيها-؛ إذ ليست الغاية

من بحثنا:

١- جز ناصية الفرس؛ حيث إن الشعر مكنم القوة في نظر العرب آنذاك.

٢- أسطورة إساف ونائلة. وهما صنمان بمكة.

٣- أسطورة زرقاء اليمامة: وهى الكاهنة التي كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام^(١).

٤- أسطورة أن الجنَّ تركب الثيران؛ فتصد البقر عن الشرب؛ فإذا أرادوا أن تشرب البقر كان لابد لهم من ضرب "الثور" الذي يركبه الجنى.

قال أنس بن مُدركة في قتله الصعلوك السُّليكَ بن السلُكة:

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلَهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتْ الْبَقْرُ

٥- كي الجمل السليم وترك الجمال التي بها الداء^(٢)، وغيرها من الأساطير التي نقلت عن العرب.

(١) خزنة الأدب، البغدادي، ٢ / ٤٦٤

(٢) خزنة الأدب، البغدادي، ٢ / ٤٦٤

الطير والأساطير:

وللطير حضور قوي في كثير من الأساطير عند العرب؛ لما يتميز به الطير من خصوصية دون سائر الحيوانات، ومن هذه الأساطير التي ارتبطت بالطير:

● أسطورة "الصدى أو الهامة"^(١).

زعموا أن الصدى وهو: ذكر البوم^(٢) يسكن القبور، وقالوا: هو طائر يقال له: "الهامة" زعموا أنه يخرج من رأس القتل إذا لم يؤخذ بثأره، فيقول: اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره.

وفي مثل هذا يقول ذو الأصبع العدواني^(٣):

يا عَمْرُو إنْ لَا تَدَعُ شَتْمِي وَمَنْقَصِي
أَضْرِبُكَ حَيْثُ تُقُولُ الْهَامَةَ: اسْقُونِي

في البيت يهدد الشاعر عمراً بقتله إن لم يكف عن سبه وشتمه، حتى تجعل الهامة تصيح على قبره تطلب الثأر له.

● أسطورة التعقية:

جاء في كتاب "خزانة الأدب" التعقية: سهم الاعتذار. وقيل: العقيقة^(٤). قال ابن الأعرابي: أصل هذا أن يقتل الرجل رجلاً من قبيلته؛ فيطلب القاتل بدمه، فتجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة، ويسألونهم العفو

(١) خزانة الأدب، البغدادي، ٣ / ٣١٦

(٢) لسان العرب لابن منظور. "هوم"

(٣) خزانة الأدب للبغدادي، ج٧، ص١٨٤.

(٤) لأنه عق بالسهم إذ رمي به نحو السماء. وذلك السهم يُسمى عقيقة.

وقبول الدية، فإن كان أولياؤه ذووا قوة أبو ذلك، وإلا قالوا لهم: بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي؛ فيقول الآخرون. ما علامتكم؟ فيقولون: أن نأخذ سهماً فنرمي به نحو السماء؛ فإن رجع إلينا مضرراً بالدم؛ فقد نُهينا عن أخذ الدية، وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها.

وحينئذٍ يمسخوا لحاهم ويصالحوا على الدية "وكان مسح اللحية علامة للصلح". وقال ابن الأعرابي: ما رجع ذلك السهم قط إلا نقياً. ولكنهم يعتذرون به عند الجهال.

وفي هذا يقول الأسعر الجعفي:

عَقُّوا بِسَهْمٍ ثُمَّ قَالُوا سَالِمُوا يَا لَيْتَنِي فِي الْقَوْمِ إِذَا مَسَحُوا اللَّحَى

وكان الذي يرضي بالدية ينظر إليه نظرة ضعف وذل، قال قائلهم يهجو من أخذ الدية من الإبل:

وإنَّ الَّذِي أَصْبَحْتُمْ تَحْلُبُونَهُ دَمٌ غَيْرَ أَنَّ اللَّوْنَ لَيْسَ بِأَشْقَرًا

في البيت يهجو الشاعر من رضي بأخذ الدية على الأخذ بالثأر، ويقول: إن الذي تحلبونه من غنم الدية ما هو إلا دم قتيلكم الذي لم تأخذوا بثأره.

أسطورة ظلمة القبر بقبول الدية:

وكان العرب يزعمون أن القتييل إذا ثأروا له أضاء قبره، فإن أهدر دمه أو قُبلت ديته بقي قبره مظلماً^(١).

وروي أن بني مازن قتلوا عبد الله أخوا عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ثم جاؤوا إلى "عمرو" فقالوا: إن أذاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران، ونحن يدك وعضدك فنسألك بالرحم إلا أخذت منا الدية ما أحببت، فهم عمرو بذلك.

فبلغ ذلك أختا لعمرو يُقال لها "كبشة"؛ فغضبت، فلما وافى الناس الموسم

قالت:

وأرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه إلى قومِه أن لا تحلُّوا لهم دمِي
ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبُكراً وأتركُ في بيتِ بصَعْدَةِ مُظْلِمِ
فإن أنتم لم تقتلوا واتديتمُ فمَشُّوا بآذانِ النِّعامِ المِصْلَمِ
ودغَ عنكَ عمراً إنَّ عمراً مُسالمٌ وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمَطْعَمِ^(٢)

ففي الأبيات تؤمن كبشه أن أخواها القتييل إذا قبلت ديته سيكون قبره مظلماً، وأخذت تحض قومها على إدراك الثأر، وتزعم أن أخواها عبد الله قد أرسل يُخبر عما آل إليه أمره وتقول: إن قومها إذ قبلوا الدية ولم يقتلوا بقتيلهم قتيلاً، فإن أخواهم سيكون قبره مظلماً وأن عليهم بعد ذلك إن يمشوا أذلاء بآذان مصلمة كأذان النعام،

(١) خزانة الأدب، البغدادي، ٦ / ٣٥٦.

(٢) خزانة الأدب، البغدادي، ٦ / ٣٥٧.

بل ليس لهم بعد قبول الدية إلا أن يشربوا فضول نسائهم وهن حيض حيث قالت بعد الأبيات السابقة:

وَلَا تَرْدُوا إِلَّا فُضُولَ نَسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلْتُمْ أَعْقَابُهُنَّ مِنَ الدَّمِّ

ولعل موقف الشاعرة كبشه يكشف عن الواقع الاجتماعي الجاهلي في موقفهم تجاه أخذ الدية أكثر مما يعبر عن هذه الرؤية الأسطورية، إذ إن القلة من العرب في الجاهلية كانوا يرضون بأخذ الدية على الأخذ بالثأر وهم الضعفاء لا الأقوياء.

وقد تُذكر الهامة في الشعر لا على أنها المحرض للأخذ بالثأر وحسب، بل قد تذكر لغير ذلك، ومثل ذلك الذي جاء في رثاء أبي ذؤيب الهذلي لابن عمه: "نشبية" المقتول^(١):

فَإِنْ تُمَسِّ فِي رَمْسٍ بِرَهْوَةٍ ثَاوِيَا أَيْسُكَ أَصْدَاءُ الْقُبُورِ تَصِيحُ
عَلَى الْكُرْهِ مِنِّي مَا أَكْفِكُفُ عِبْرَةٌ وَلَكِنْ أُخْلِي سِرْبَهَا فَتْسِيحُ
فَمَالِكَ جِيرَانٌ وَمَالِكَ نَاصِرٌ وَلَا لُطْفٌ يَبْكِي عَلَيْكَ نَصِيحُ
وَإِنْ دُمُوعِي إِثْرَةٌ لَكَثِيرَةٌ لَوْ أَنَّ الدُّمُوعَ وَالزَّفِيرَ يُرِيحُ
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَى ابْنَ عَمِّ كَأَنَّهُ نَشِيْبَةٌ مَا دَامَ الْحَمَامُ يَنْوَحُ

ونحن نرى في هذا النص أن مدلول الصدى "الهامة" تختلف عن مدلولها في الأسطورة، إذ استخدمها لتؤنس ابن عمه القتيل، لإحساسه بالحزن والعجز والحسرة عن الثأر لابن عمه، فقد قل المساعد وعز النصر... فماذا يملك غير البكاء؟.

(١) ديوان الهذليين، القسم الأول، ص: ١١٦.

وقد يأتي ذكر الهامة وعطشها للدم في سياق الوعيد والتهديد بالموت لا على

الحقيقة، يقول ذو الإصبع العدواني لابن عمه^(١).

ولي ابن عمّ علي ما كان من خلقٍ
فإن تُردّ عَرَضَ الدُّنيا بِمنقَصَتِي
لولا أواصرُ قُربِي لستَ تحفظُها
إذن بريئكَ برياً لا انجبار له
ماذا عليّ وإن كنتم ذوي رَحَمِي
يا عمرو إن لا تدع شتْمِي ومنقَصَتِي
مختلفان فاقليه ويقلبيني
فإن ذلك ممّا ليس يُشجيني
ورهبَةُ الله في مولى يُعاديّني
إنّي رأيتُكَ لا تنفكّ تبريني
ألا أحبُّكم إن لم تُحِبُّوني
أضربك حيثُ تقولُ الهامةُ اسقوني

نرى من خلال هذه الأبيات السابقة أن الشاعر قد ضاق ذرعا بابن عمه وأقاويله فيه فلجأ إلى الوعيد والتهديد بالقتل، والشاعر قد ذكر الهامة كما أسلفنا للتهديد والتخويف ولم يرد ما بعد القتل من مطالبة هذه الهامة بالسقيا أو الثأر والانتقام؛ لأنه لو أراد ذلك لكان المعني بأخذ الثأر منه فوراء ابن عمه من يُطالب بثأره، ويأتي إلا إدراك الوتر ولأنه ذكر أنه يمنعه من الخوف من الله وحرمة القرابة التي بينهما وأنه يحفظها من أن يقتل ابن عمه.

(١) خزنة الأدب، البغدادي. ج ٧ / ١٨٤.

ومن أساطير العرب المتعلقة بالطير السوانح والبوارح:

السوانح: جمع سانح وهو ما أتاك عن اليمين "يمينك".

والبوارح جمع بارح وهو ما أتاك عن اليسار "يسارك"^(١).

وأصل ذلك أن العرب إذا أراود الخروج للسفر أو التجارة أو غير ذلك، كانوا يقومون بزجر الطيور وإثارتها، فما تيامن منها وأخذت ذات اليمين سموه: "سانحا"، وما تياسر منها سموه: "بارحا"، فإذا كان الطير سانحا تفاءلوا به ومضوا في أمرهم، وإن كان بارحا تشاءموا منه ورجعوا عن ما عزموا عليه من الخروج.

يقول أبو ذؤيب الهذلي^(٢):

أرَبْتُ لِأرَبِّتِهِ فأنطَلَقْتُ أُرْجِي لِلْحُبِّ اللَّقَاءَ سَنِحًا

في البيت يخبر الشاعر عن سعيه لسعي حبيبه؛ فأخذ يسوق للقاءه الفأل الحسن.

قال ابن منظور يقول ابن بري^(٣):

والعرب تختلف في العيافة، يعني في التيمن بالسانح، والتشاؤم بالبارح؛ فأهل نجد

يتيمنون بالسانح. يقول ذو الرمة^(٤). - وهو نجدي -.

خَلِيلِيَّ لَا لَأَقِيْتُمَا مَا حَيْتُمَا مِنْ الطَّيْرِ إِلَّا السَّانِحَاتِ وَأَسْعَدَا

في البيت يدعو الشاعر لصديقيه بأن لا يريا في حياتهما إلا الخير والسعادة ورمز

لذلك بالطيور السوانح.

(١) لسان العرب. مادة "سنح".

(٢) شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ١٩٦.

(٣) لسان العرب. مادة "سنح".

(٤) ديوان ذي الرمة، ص ١٣١.

وقال النابغة الذبياني، - وهو نجدى - يتشاءم بالبارح^(١):

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وبذاك تَنَعَّابُ الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ
لا مرحباً بغد ولا أهلاً به إن كان تفريق الأحبة في غد^(٢)

رأى الشاعر في الطيور البوارح شؤماً بفراقه عن أهله وأحبابه، وأخذ يصيح بذلك الغراب الأسود، ثم أخذ يذم اليوم الذي يكون فيه فراق الأحبة.

وأهل الحجاز على الضد من أهل نجد؛ فهم يتشاءمون بالسانح، يقول كثير عزة - وهو حجازي - ممن يتشاءم بالسانح^(٣):

أَقُولُ إِذَا مَا الطَيْرُ مَرَّتْ مُخِيفَةً سَوَانِحُهَا تَجْرِي وَلَا أَسْتَثِيرُهَا
حينما يرى الشاعر الطير وهي تطير في جهة اليمين؛ يفرح لذلك ولا يقرب لها أو يعترضها؛ لأنه يرى في طيراتها جهة اليمين شؤماً.

فهذا هو الأصل، ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازي؛ فمن ذلك قول عمرو بن قميئة، وهو نجدى^(٤):

فَبِئْسَ عَلَيَّ طَيْرٌ سَنِحٌ فُحُوسَه وَأَشَامُ طَيْرِ الزَّاجِرِينَ سَنِحُهَا
الشاعر في البيت يتشاءم بالسانح من الطير على غير عادة قومه.

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٢١.

(٢) في الشطر الثاني من البيت الثاني "إقواء".

(٣) ديوان كثير عزة، ص ١٧٤.

(٤) لسان العرب، مادة "سنح".

ويندرج تحت هذه الأسطورة: "السوانح والبوارح" ما يُسمى: "الطيرة والتطير"
والتطير مأخوذ من "الطيرة": وهذه الطيرة مأخوذة أصلاً من الطير، حيث كان أهل
الجاهلية يعتقدون في الطير، فكان الواحد منهم إذا أراد الزواج أو التجارة أو السفر
لأمر ما: كان ينظر في الطير حين يزجره؛ فإن ذهب يميناً تيمناً، وقال: هذا من البركة
ومضى في أمره، وإن ذهب شمالاً تشاءم؛ وأوقفه ذلك عن المضي في أمره.

والطيرة: مصدر من تطير أي: تشاءم

يقول الأعشى^(١):

تَلَا فَهُمَا بَشْرٌ مِّنَ الْمَوْتِ بَعْدَمَا جَرَتْ لِهَمَا طَيْرُ النُّحُوسِ بِأَشَامِ

ويقول أبو ذؤيب الهذلي^(٢):

زَجَرْتُ لَهُم طَيْرُ الشَّمَالِ فَإِنْ تَكُنْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يُصِيْبُكَ اجْتِنَابُهَا

ويقول المقنع الكندي^(٣):

وإن زجروا طيراً بنحسٍ تمُرُّ بي زجرتُ لهم طيراً تمُرُّ بهم سعدا

في البيت يخبر الشاعر عن مكانة قومه لديه، وأنهم لو زجروا الطير له بالشؤم
والنحس؛ زجره لهم بما يجلب لهم السعادة والفرح.

نلاحظ في الأبيات السابقة على اختلاف عصور قائلها: الجاهلي الإسلامي
والأموي فنجد أن في العرب أقواماً يتشاءمون بالطير ويتيامنون به.

(١) ديوان الأعشى، ص ١٦٧.

(٢) شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ٤٢.

(٣) حماسة البحترى، ص ٢٤٠.

وبناءً على استجلاء الشر والخير الذي ينتظره الرجل عند زجره الطير؛ نعت
فكرة التشاؤم والتفاؤل، وقد صنفا الطير إلى صنفين:

أ- صنف قبيح يُوحى بالشؤم.

ب- صنف جميل يُوحى بالفأل.

والعرب لم تتطير وتتشاءم كما تطيرت وتشاءمت من طائر الغراب "غراب
البن"، ومن قرأ كتاب: لسان العرب: مادة غرب؛ وجد أن ألفاظ هذه المادة مما
كانت تتحدث به العرب لا يُبشر بخير عندهم ولا يحبونه؛ فمنه: المُغترب عن الأهل
والأوطان، ومنه: الغريب، ومنه: أغرب^(١)، ولأن طائر الغراب كان لا يدخل المساكن
والبيوت إلا إذا بان أهلها عنها وخرجوا منها^(٢)، وكذلك لونه الشاحب بالسواد
جعلته عند العرب نذير شؤم؛ فهو إذن عندهم المُقدّم في الشؤم.

رأى السمهري العكلي غراباً على بانه يتنف ريشه فأنشد يقول^(٣):

رَأَيْتُ غُرَاباً سَاقِطاً فَوْقَ بَانَةٍ يُنْسِنُ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهُ
فَقَالَ: غُرَابٌ بَاغْتِرَابٍ مِنَ النَّوَى وَبِالْبَانِ بَيْنَ مَنْ حَبِيبٍ تُحَاذِرُهُ

وأضاف الجاحظ نوعاً للغراب وهو: غراب الليل الذي يُشبه البوم، والذي قال

عنه: "هو الذي ترك أخلاق الغربان، وتشبه بأخلاق البوم"^(٤)

(١) لسان العرب. مادة غرب

(٢) في المبحث الأول ذكرت هذه التفاصيل وغيرها عندما ذكرت أنواع الطيور

(٣) الموسوعة الشعرية.

(٤) الحيوان للجاحظ ج ١ ص: ١٨٤

وبعض الشعراء يتشاءم بالغراب بكل أحواله، فكيف بغراب ويطير عن شماله؟!
فهذا قيس بن ذريح نراه متشائماً من الغراب بكل أحواله، فكيف به وقد رآه
يطير عن شماله كلما ذكر لبني أنشد قائلاً^(١):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مَا لَكَ كُلَّمَا ذَكَرْتُ لُبْنَى طَرَّتَ لِي عَنْ شِمَالِيَا
أَعِنْدَكَ عِلْمُ الْغَيْبِ أَمْ لَسْتَ مُخْبِرِي عَنْ الْحَيِّ إِلَّا بِالَّذِي بَدَا لِيَا
فَلَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ عُشًّا لَبِيضَةً وَلَا زَالَ عَظْمٌ مِنْ جِنَاحِكَ وَاهِيَا

فنحن نراه في الأبيات من شدة شؤمه من الغراب حين طار عن شماله عند ذكر
لبني يدعو عليه بتكسير رجليه وأن تُثقل، وأن يضعف جناحاه عن الطيران.

وهذا عنتر بن شداد عندما فارق أحبته، وصاح الغراب يُخبره بينهم، قام
بزجره وطرده من عشه حتى لا يفرِّخ فيها، ولا يتكاثر؛ فيصيح وحده حتى يهلك ولا
يُفجع أحداً بنعيقه.

يقول عنتر^(٢):

ظَعَنَ الَّذِينَ فِرَاقُهُمْ أَتَوْعُ وَجَرَى بَيْنِهِمُ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ
فَرَجْرَتْهُ أَلَّا يُفْرَخَ عُشَّهُ أَبْدَاً وَيُصْبِحُ وَاحِداً يَتَفَجَّعُ
إِنَّ الَّذِينَ نَعَيْتَ لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْهَرُوا لَيْلِي التَّمَامِ فَأَوْجَعُوا

(١) ديوان قيس بن ذريح، ص ١٢٢.

(٢) ديوان عنتر، ص ٥٧.

ويقول قيس بن الملوح^(١):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ إِنْ كُنْتَ هَابِطًا بِلَادًا لِلَّيْلِ فَالْتَمِسْ أَنْ تُكَلِّمَنَا
وَبَلِّغْ تَحِيَّاتِي إِلَيْهَا وَصَوْتِي وَكُنْ بَعْدَهَا عَنْ سَائِرِ النَّاسِ أَعْجَمًا

فالغراب لما كان نذير شؤم عندهم، ومذكر لهم بين الأحبة وفراقهم من ديارهم، نجد بعض الشعراء قد اتخذوه رسولاً إلى محبوبته - على خلاف النظرة السائدة للغراب - يُبلغها بحبه لها ولوعته وشدة حزنه من فراقها...، فقيس بن الملوح يخاطب الغراب ويطلب منه إن وجد أرض وبلاد ليلى أن يُبلغها حاله وسلامه لها ومعاناته لفراقها.

وبعضهم يأتي بصور جميلة ذكر فيها الغراب وسواده حتى وإن كانت في الهجاء، فنحن ننظر إلى الصورة فنراها من الجمال والطرافة. بمكان، فهذا العباس بن يزيد الكندي يقول^(٢):

لَوْ أَطَّلَعَ الْغُرَابُ عَلَى تَمِيمٍ وَمَا فِيهَا مِنَ السَّوِّءَاتِ شَابَا
فهو في هذا البيت يهجو بني تميم ويُعرض بعيوبهم بأسلوب ساخر باعث على الطرافة؛ وهو: أن الغراب الأسود في لونه لو رأى تلك العيوب التي في قبيلة بني تميم؛ لتغير لونه من السواد إلى البياض من شدة ما يرى من سوءاتهم وعيوبهم.

(١) ديوان قيس بن الملوح، ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) ربيع الأبرار، الزمخشري، ج ١. ص: ١٧٠.

وقد يكون التشاؤم بالغراب تفاقولاً في الوقت عينه إذا جرى بين الأعداء، فهذا ما نجد في شعر "عبد الله بن الزبيري" "يوم أحد" - وكان على الشرك يومئذ - حيث يقول^(١):

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسَمِعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئاً قَدْ فُعِلْ
لَيْتَ أَشْيَاحِي بِبَدْرِ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ
إِذْ أَخَذْنَا النَّصْفَ مِنْ سَادَتِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَاغْتَدَلْ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ مَا جَدِ الْحَدِيثُ مِقْدَامَ بَطْلٍ

"فابن الزبيري" يعلن غبطته وحبوره لمصاب المسلمين "يوم أحد" كما يعلن شماتته بهم، وتمنى لو أن قتلى المشركين في بدر كانوا أحياءً ليروا ما حلَّ بالمسلمين، فقد انتصف المشركون من سادة المسلمين؛ وبذلك اعتدل الميزان بينهما بعد أن مال يوم بدر، فالشاعر يسمع الغراب فيرى فيه نذير فال له ولقومه، وبالتالي فهو نذير شؤم لأعدائه، فيسره ما يسمع، ولذا يدعوا الغراب إلى الاستمرار في النعيب.

وقد يذكر العربي الغراب متشائماً منه إذا رأى قوماً لا مكانة لهم عنده لعداوة وغير ذلك فهذا أبو المورق اللحياني الهذلي يقول^(٢):

إِذَا نَزَلَتْ بَنُو لَيْثٍ عُكَاظاً رَأَيْتَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الْغُرَابَا

(١) شعر عبد الله بن الزبيري، ص ٤١-٤٢.

(٢) الطير في الشعر الجاهلي. بحر القادر الرباعي. ص: ١١٧.

فالشاعر لا يرى غراباً على رؤوس بني ليث؛ ولكنه أراد أن يُعبّر عن تشاؤمه
بقدمهم.

وقد يرى بعض العرب في الغراب فألاً حسناً، فبشراً نجد لنذير شؤم، كما يقول
الجاحظ^(١).

فهذا أبو عبيد الله بن قيس المرقبان يقول^(٢):

بَشَرَ الظَّمِي وَالْغُرَابُ بِسُعدَى مَرَحِباً بِالذِي يَقُولُ الْغُرَابُ

(١) الحيوان. الجاحظ: ج ١ ص: ٢٨٣-٢٨٤ بتصرف

(٢) الأغاني، ج ١٧، ص ٢٧٢.

ومن الطيور التي تطير بها وتشاءم بها العرب طائر الصرد:

وهو طائر فوق العصفور^(١) وهو ضخم الرأس تشاءموا من صياحه ولونه ومن اسم صوته التصريد وهو: التقليل.

يقول عدي بن زيد^(٢):

دَعَا صُرْدٌ يَوْمًا عَلَى عُوْدٍ شَوْحَطٍ وَصَاحَ بِذَاتِ الْبَيْنِ مِنْهَا غُرَابُهَا
فَقَلْتُ أَتَصْرِيْدٌ وَشُحَطٌ وَغُرْبَةٌ؟ فَهَذَا لَعَمْرِي نَائِيهَا وَاغْتِرَابُهَا

في البيتين يُقسم الشاعر بحلول الغربة والبعد والفراق؛ عندما سمع صوت الصرد مع صوت نعيق الغراب؛ فرأى في اجتماع صوتيهما تأكيد الفراق.

(١) لسان العرب. لابن منظور. مادة: صرد.

(٢) ديوان عدي بن زيد، ص ٤٥.

ومن الطيور التي تطير وتشاءم بها العرب طائر: البوم.

جاء في لسان العرب^(١) البوم: ذكر الهام، واحدته بومة، والجمع على: أبوام.

قال ذو الرمة^(٢):

وَأَعْصَفَ قَدْ غَادَرْتُهُ وَادَّرَعْتُهُ
بِمَسْتَبِحِ الْأَبْوَامِ جَمَّ الْعَوَزِافِ

ويقول رؤبة بن العجاج^(٣):

هَاجَكَ مِنْ أَرْوَى كَرَسِ الْأَسْقَامِ
وَمَازَلُ بَالِ كَنْخَطِ الْأَقْلَامِ

يَبِينُ الْبِيَادِي مِنْ صَدَاهَا الْهَيَّامِ
مِنْ صَائِحِ الْهَامِ وَبُومِ الْأَبْوَامِ

وكانت العرب تنظر إلى البوم على أنه طائر الشؤم فتشاءم به وتنفر من

صوته.

وقد روي أن الخليفة العباسي المأمون، أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً

وبيده فحمه يكتب بها على حائط القصر، فقال المأمون لبعض خدمه اذهب إلى ذلك

الرجل وانظر ما يكتب وائتني به، فبادر الخادم إلى الرجل مُسرِعاً، وقبض عليه، وقرأ

ما كتب الرجل، فإذا هو قد كتب:

يَا قَصْرُ جُمِعَ فِيكَ الشُّؤْمُ وَاللُّؤْمُ
مَتَى يُعْشَشُ فِي أَرْكَانِكَ الْبُؤْمُ

يَوْمَ يُعْشَشُ فِيكَ الْبُؤْمُ مِنْ فَرَحِي
أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنْعِيكَ مَرْغُومُ

(١) لسان العرب لابن منظور. مادة بوم

(٢) ديوان ذي الرمة، ص ٢٤٦.

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج، ص ١٣٦.

ولما مثل بين يدي المأمون قال له: ويلك ما حملك على هذا؟!!

فقال مررتُ على هذا القصر العامر، وأنا جائع، فقلت في نفسي: لو كان خراباً لم أعدم منه رخامه أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوت بثمنه، فأمر له المأمون بألف دينار يأخذها كل عام مادام القصر عامراً بأهله^(١).

وهذا الشافعي عندما كبر سنه، وأخذ الشيب يعلو شعره، أخذ يُخاطب البومة والتي يري كأنها عششت فوق رأسه، عندما رأى طلائع الشيب في شعره تظهر، وأن هذا الشيب مؤذناً بانقضاء العمر ونهايته..... وأنشد قائلاً^(٢):

أيا بومة قد عششت فوق هامتي
رأيت خراب العمر مني فزرتني
أنعم عيشاً بعد ما حل عارضي
على الرغم مني حين طار غرابها
ومأواك من كل الديار خرابها
طلائع شيب ليس يغني خضابها

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ج ١، ص ٩٨.

(٢) ديوان الشافعي، ص ١٦.

عقلاء العرب في الجاهلية ينكرون التشاؤم والطير:

على ما ذكر سابقاً من تشاؤم العرب وتطيرهم بالطير وغيره، فإنهم لم يكونوا كلهم على هذا المعتقد، إذ كان في الجاهلية عقلاء يُنكرون هذا الأمر، ويعيرون فعل من يتشاءم ويتطير، ومن ذمَّ التطير والتشاؤم الشاعر الجاهلي: زبان بن سيار الفزاري حيث يقول^(١):

تَخْبِرُ طَيْرَهُ فِيهَا زِيَادٌ لِتَخْبِرُهُ وَمَا فِيهَا خَبِيرٌ
تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مُتَطَيِّرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحْيِينَاً وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

في الأبيات ينكر الشاعر على زياد طلبه الرأي والخير من الطير بزجره، ويقول: ما هي إلا موافقات في بعض الأحيان وأكثرها باطل.

ويقول لبيد بن ربيعة^(٢):

لَعْمُرِكَ مَا تَدْرِي الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَاغِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
سَلَوْهَنَّ إِن كَذَّبْتُمُونِي مَتَى الْفَتَى يَذُوقُ الْمَنَايَا أَوْ مَتَى الْغَيْثُ وَأَقْعُ؟

في البيتين يقسم الشاعر بأن من تضرب بالحجر من الكاهنات ومن يزجر الطير ليُكشف له الغيب؛ غير صادق فيما يدعونه، ويُدلل لقوله بأن يُمتحنوا بسؤالهما عن موعد آجال الناس وموتها، أو عن نزول الغيث متى يكون.

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١٢، ص ٣٧٧.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٧٢.

ومن هؤلاء العقلاء الذين ينكرون التطير والتشاؤم الحارث بن حلزة حيث

يقول^(١):

يا أيها المزمع ثم انثنى لا بشيك الحازي ولا الشاحج
ولا قعيداً أغضبَ قرئه هاجَ له من مرتع هائج

في البيتين ينهى الشاعر عن الطيرة والتشاؤم، وينصح من أراد العزم على أمر من
سفر وغيره ألا يعلق أمره بها.

ويقول ضابئ البرجمي^(٢):

وما عاجلاتُ الطير تُدني من الفتى رشاداً ولا عن ريثهن يخيبُ

في البيت إشارة بأن الطيرة لا تقدم للإنسان خيراً ولا تدفع عنه شراً.

(١) ديوان الحارث بن حلزة، ص ٦٤.

(٢) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ص ٣٠٤.

ومن هؤلاء الذين ينكرون التطير والتشاؤم: المرقش الأكبر:

حيث قال^(١):

لا يَمْنَعُكَ مِنْ بُغَاءِ الخَيْرِ تَعْقَادِ التَّمَائِمِ
ولا التشاؤمُ بالعُطَّاسِ ولا التَّيْمُنِ بِالمَقَاسِمِ
وَلَقَدْ غَدوتُ وَكُنْتُ لا أَغْدُوا عَلَيَّ وَاقٍ وَحَاتِمِ
فَإِذَا الأَشْأَامِ كالأَيَا مِنْ والأَيَّامِ كالأَشْأَامِ
وَكذلكَ لا خَيْرٌ ولا شَرٌّ عَلَيَّ أَحَدٍ بِدَائِمِ
قَدْ خُطَّ ذَلِكُ فِي الرِّبْوِ رِ الأُولَيَّاتِ القَدَائِمِ

في الأبيات نصح يقدمها الشاعر ينهى فيها عن الطيرة، وأنه ينبغي ألا يكون كل من أراد السعي عقد التمام أو تطير، وكذلك ينهى عن التشاؤم بالعطاس، ثم أخذ يتحدث عن نفسه بأنه لم يكن يتشاءم بالصد، وأن أيامن الطير عنده مثل أشائمه، وأن الخير للإنسان ليس مستمراً وكذلك الشر؛ ولكن الخير والشر يتفاوتان على الناس، وأن كل ذلك مكتوب على بني آدم.

(١) ديوان المرقشين، ص ٧٥-٧٦.

ومثله يقول خثيم بن عدي يمدح رجلاً يُنكر الطيرة والتشاؤم^(١):

وليس بهيباب إذا شدَّ رَحْلَهُ يقولُ عَدَانِي اليَوْمِ واقٍ وحاتمُ
ولكنه يمضي على ذاك مُقدماً إذا صد عن تلك الهنات الحثارمُ

يمدح الشاعر رجلاً بأنه لا يأبه برواية الصرد أو الغراب، ولا يتطير بهما عند إرادته السفر، ولا يمنعه من المضي قُدماً في قضاء ما عزم عليه.

وقال الحارث بن شمر الحنفي^(٢):

ولست بمشفقٍ من ضرِّ نَجَمٍ ولا أرجوا المنافع في النجومِ
وما نعب الغراب لنا بيمينٍ وما نعب الغراب لنا بشؤمِ
ولكن ما أَرَادَ اللهُ أمضى كذلك قُدْرَةُ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

في الأبيات يخبر الشاعر أنه لا يرى في النجوم ولا في صوت الغراب شؤماً ولا تطيراً، ولكن اعتماده على الله في جميع أموره.

ويقول جهم بن عبد الرحمن الأسدي^(٣):

ألم تر أن العائفين ولو حوت لك الطيرُ عمّا في غدٍ عُميان
يظنّان ظناً مرةً يُخطئانه وأخرى على بعض الذي يصفان
قضى الله ألا يعلم الغيب غيره ففي أيّ أمرٍ الله تمترينان؟

(١) المعاني الكبير، ج ١، ص ٢٨٧.

(٢) كتاب الزهرة. ابن داوود الأصبهاني، ج ١، ص ٩٧.

(٣) كتاب الزهرة. ابن داوود الأصبهاني، ج ١، ص ٩٧.

في الأبيات ينكر الشاعر على من يزجر الطير؛ لأن الطير لا تعلم الغيب، ولا تعطيك مما تخشاه حذراً، وأن كل ما تفعلونه من تطيرٍ قد يصيب مرة، ويُخطئ أخرى، وأن الغيب الذي تطلبون معرفته بزجر الطير علمه عند الله عز وجل.

ويقول الكُميت الأسدي^(١):

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ أَصْحَاحُ غِرَابٍ أَمْ تَعَرَّضَ ثَغْلَبُ
وَلَا السَّانِحَاتِ الْبَارِحَاتِ عَشِيَّةً أَمْرٌ سَلِيمٌ الْقَلْبِ أَمْ مَرٌّ أَعْضَبُ

يمدح الشاعر نفسه بأنه ممن لا يعير اهتماماً بالطير ولا بزجره ولا بصياح الغراب، وأن ذلك لا يثنيه عما يسعى له.

ويقول عوف بن عطية الخرع^(٢):

نَوْمُ الْبِلَادِ لِحُبِّ اللَّقَا وَلَا نَتَّقِي طَائِرًا حَيْثُ طَارَا
سَنِحًا وَلَا جَارِيًا بَارِحًا عَلَى كُلِّ حَالٍ نُلَاقِي الْيَسَارَا

فمما سبق من الشواهد الشعرية وغيرها؛ يتبين لنا أن عادة التطير والتشاؤم لم يكن يعتقدونها كل العرب..... بل وُجد فيهم من يُنكرها ويعيبها كما مثلنا سابقاً بشواهد شعرية.

ومن ذكرها من الشعراء في أشعارهم أظهروا مثل هذه المعتقدات والأساطير المتعلقة ببعض أنواع الطير، فأخذوا يذكرونها عند فراق الأحبة والبعد عن الأوطان وعند حلول المصائب والمآسي.

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٩٧.

(٢) الفضليات، للضي، ص ١٢٤.

صفوة المبحث وخلاصته:

يتضح من خلال ما سَطَّر في ثنايا هذا المبحث أن حياة كثير من العرب في العصر الجاهلي اتسمت بكثير من العادات الأسطورية التي لا تخرج ولا تكون إلا من منطق الخُرافة الذي سيطر على عقول كثير منهم؛ لا فتقادهم المصدر الإلهي الذي يهتدون بهدية، ويستضيئون بنوره.

فلما جاء الإسلام بين لهم خرافات هذه العادات، وأنها قائمة على الأوهام التي يلقيها الدجالون والمشعوذون، وهدم الإسلام مُعتقدات العرب في التطير.

وأخذ الرسول الله ﷺ يُخلص الناس من هذه المعتقدات والأساطير بعدما تغلغت في أفكار الكثير منهم وبانت في أفعالهم، وحثهم على التفاؤل ونبد التطير والتشاؤم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طيرة،

ويعجبني الفأل. قالوا وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة)^(١)

فأخذ من دخل في الإسلام من العرب يتجنب الطيرة والتشاؤم، في حياتهم الاجتماعية والدينية ونبد المعتقدات والأساطير التي لا أساس لها، وذلك عندما جاء

(١) صحيح مسلم - ٢٢٢٤

القرآن الكريم والرسول الكريم ﷺ؛ فهما المصدران الصحيحان السليمان الصادقان
في أخبارهما، فارتبطت عقولهم بأخبار صادقة، ونبذوا الأفكار التي كانوا يعتقدونها.
ومع ذلك كله نجد التشاؤم بالطير؛ لم يندرس عند كل الشعراء؛ لتعلق نفوسهم
بالمحبوب تعلقاً جعلها تعيش في دوامة غيبت عقلها عن المسار الصحيح لها، وحجبت
أعينهم عن رؤية الطريق السليم والحق، وقد ذكرنا في ثنايا هذا المبحث أبيات لشعراء
جاءوا في عصور ظهرت بعد الإسلام: كقيس بن الملوح، ورؤبة بن العجاج وغيرهم،
مما يدل على بقاء هذا التصور الخاطيء في التشاؤم بالطير.

الفصل الثاني

تشكل الخطاب الشعري

✧ المبحث الأول: أشكال الخطاب

✧ المبحث الثاني: وظيفة الخطاب

✧ المبحث الثالث: سمات الخطاب

المبحث الأول

أشكال الخطاب

المناجاة.

فقد جاءت مناجاة الشعراء للطيور، وبثهم لما يشعرون به من أحاسيس حركت وجدانهم، وأثارت مكامن الشجن في قلوبهم على أشكال من الخطاب متنوع؛ ومن هذه الأشكال التي اتخذها الشعراء في مخاطبتهم للطيور بأنواعها: خطاب المناجاة.

المناجاة:

ناجى الرجلَ مناجاةً ونجاءً: سارّه وانتحى القوم وتناجوا: تساروا^(١).

ناجى فلاناً: ساره بما في قلبه من أسرار أو مشاعر، وخصه بالحديث^(٢).

والشعر العربي قد ضم بين سطوره مناجيات للطيور، وهى مناجيات رقيقة تفيض جمالاً وكان بعض الشعراء يبث شجونه للطير؛ فإذا نظر إلى السماء ورأى الطير يخلق في جوها حمله السلام إلى الحبيب.

ألا أيُّها الطيرُ المُخلِّقُ غادياً تَحْمَلُ سَلامِي لا تَذرني مُنادياً^(٣)

(١) لسان العرب، لابن منظور - حرف النون.

(٢) المعجم الوسيط

(٣) ديوان قيس بن الملووح العامري: ص: ٢٣٨

وإذا مر بعقاب ساقط على وكره؛ دعا له، وطلب منه بياناً عن الحبيب يُخرجه
مما يعانيه ويُكابده من شوق لمعرفة حال الحبيب.

أَلَا يَا عُقَابَ الْوَكْرِ وَكُرِّ ضَرِيهِ سُقَيْتِ الْغَوَادِي مِنْ عُقَابِ عَلِيٍّ وَكُرِّ
أَبِينِي لَنَا لِأَزَالِ رِيشُكَ نَاعِمًا وَلَا زِلْتِ فِي صَيْدٍ مُخَضَّبَةِ الظُّفْرِ
إِذَا ذُكِرَتْ لِيلى أُسْرًا بِذِكْرِهَا كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ مِنْ بَلَلِ القَطْرِ^(١)

وإذا ما رأى غراباً قسا عليه ودعا عليه بالعذاب والهوان والتشريد وفراق الأحبة.
وإذا مر بطيور على أشجار دنا منها يُناجيهما متذكرا الحبيبة ناشداً أشعار الهوى
والغرام يُحركه في ذلك نوحُ الحمام وشجوها الذي يُثير الشجون، ويُهيج الجوى،
ويجدد الوجد في قلبه.

(١) ديوان قيس بن الملوخ العامري، ص: ١١٩

ومن أمثلة مناجاة الطير يقول عنتره^(١):

وَقَدْ غَتَّى عَلَيَّ الْأَغْصَانِ طَيْرٌ
بَكَى فَأَعْرَثُهُ أَجْفَانِ عَيْنِي
فَقُلْتُ لَهُ: جَرَحْتَ صَمِيمَ قَلْبِي
وَمَا أَبْقَيْتَ فِي جَفْنِي دُمُوعاً
وَلَا أَبْقَى لِي الْهَجْرَانَ صَبْرًا
وَلَوْ أَنِّي كَشَفْتُ الدَّرْعَ عَنِّي
وَعَادَانِي غُرَابُ الْبَيْنِ حَتَّى
بَصَوْتُ حَيْنُهُ يَشْفِي الْعَلِيلا
وَنَاحَ فَنَزَادَ إِغْوَالِي عَوِيلا
وَأَبْدَى نَوْحَكَ الدَّاءَ الدَّخِيلا
وَلَا جِسْمًا أَعِيشُ بِهِ نَحِيلا
لَكَيْ أَلْقَى الْمَنَازِلَ وَالطُّلُولَا
رَأَيْتَ وَرَاءَهُ جِسْمًا نَحِيلاً
كَأَنِّي قَدْ قَتَلْتُ لَهُ قَتِيلا

الآيات السابقة أشارت إلى أن الشاعر قد وجد طيراً يشدو بصوته الذي حين سمعه حرك فيه مكان من الحب والهوى، وهذا الصوت يخفف عنه ما يجد من لوعة وشدة شوقه لحبيته، صوت يشفي العليلا، وأخذ يذكر في قصيدته أنه أخذ في الإصغاء له بعينه مع أذنيه، وأنه حين نوح هذا الطير زاد ما به من حُرقة وشوق، ثم أخذ في مناجاته فقال له: جرحت صميم قلبي وحركت بنوحك ما أكابده من الشوق والهوى؛ وبنوحك فبكيت واشتد بكائي حتى انقطع الدمع عن عيني وهزل جسمي وأصبح نحيلًا، ثم أخذ في مناجاته التي يحكي منها كيف أصبح حاله بعد الهجران والفراق الذي صار بينه وبين محبوبته حتى صار لا يقوى على المرور بأرضها وديارها التي أصبحت أطلالا، ثم أخذ يصف حاله بأنه قد ألم به من الفراق ما جعله في مُتغير

(١) ديوان عنتره بن شداد، ص ٧٠.

الحال، وأنه قد أصبح هزياً ذا جسم نحيل، وأنه يستره بهذا الدرع الذي يجعله عليه،
وأخذ يشكو من غراب البين الذي يذكره بفراق محبوته، وأنه قد أصبح له عدواً حتى
شبهه الشاعرُ بالغيريم الذي قتل له قريب ويطلبُ بثأره.

ومن خلال هذه المناجاة يتضح: ما كان يعيشه الشاعر من تعلق محبوته؛ جعل
ذلك يؤثر على نفسيته التي أثرت على نفسه وفكره؛ حتى جعله ذلك حين سمع نوح
الطير يتأثر هذا التأثر الذي نراه في القصيدة؛ التي فيها أخذ يخاطبه بما يُكنه من مشاعر
جياشة لفقد حبيبته وكيف أنه أثر فقدها في حياته.

ومن أمثلة مناجاة الطير في الشعر العربي:

يقول عنتره مناجياً الغراب^(١):

غُرَابَ الْبَيْنِ مَالِكَ كُلِّ يَوْمٍ تُعَانِدُنِي وَقَدْ أَشْغَلْتَ بَالِي^(٢)
كَأَنِّي قَدْ ذَبَحْتُ بِحَدِّ سَيْفِي فِرَاخَكَ أَوْ قَتَصْتُكَ بِالْحَبَالِ
بِحَقِّ أَيْبِكَ دَاوِي جُرْحَ قَلْبِي وَرَوْحَ نَارِ سِرِّي بِالْمَقَالِ
وَخَبْرَ عَنْ عُيْلَةَ أَيْنَ حَلَّتْ وَمَا فَعَلْتَ بِهَا أَيْدِي اللَّيَالِي
فَقَلْبِي هَائِمٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ يُقْبَلُ إِثْرَ أَخْفَافِ الْجَمَالِ

في الأبيات السابقة: يُظهر عنتره حزنًا لفراق محبوبته "عبلة"؛ فعنتره يخاطب الغراب ويناجيه قائلاً: مالك تعاندي أيها الغراب وكأني يوماً قد قتلت فراخك بحد سيفي، أو كأني قمت باصطياد فراخك بجبالي.

ويستحلفه بأن يداوي جرح قلبه، ويجلب له أخبار محبوبته عبلة، وأين حلت؟ وماذا فعلت بها الأيام؟ بدلاً من أن يجلب أخبار الفراق التي اعتاد عليها وعلى نقلها له، وكأن عنتره يُريد أن يُوجه الغراب بأن يُغير من طبعه في نقل أخبار البعد والبين، ويتحول من منذر بالفراق إلى مبشر باللقاء.

ثم جعل عنتره يُبين حاله من الوجد والشوق لعبلة؛ شوقاً جعله يُقبل آثار أخفاف الجمال التي ركبت عليها عبلة حين رحلت عنه وفارقتة.

(١) ديوان عنتره. ص: ١٤٨

(٢) لما كان يعتقد بعض العرب تجاه طائر الغراب بأنه جُبل على الفراق والبين

من خلال هذه الأبيات نرى الشوق والوجد من عنتره لعبلة، وحُزنه على فراقها
بلغ مبلغاً؛ جعله يطلبُ من الغراب أن يكون على خلاف الفِطرة التي يعتقد أنه مُنذر
بالفراق إلى مُبشِّرٍ باللقاء.

ومن أمثلة مناجاة الطير في الشعر العربي:

يقول أبو فراس الحمداني^(١):

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ
مَعَاذَ الْهَوَى مَا ذُقْتَ طَارِقَةَ النَّوَى
أَتَحْمِلُ مَحْزُونََ الْفُؤَادِ قُودِمٌ
أَيَا جَارَتَا، مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
تَعَالِي تَرَي رُوحًا لَدَيَّ ضَعِيفَةً
أَيضْحَكُ مَأْسُورٌ، وَتَبْكِي طَلِيقَةً
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكَ بِالدَّمْعِ مُقْلَةً
أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي؟
وَلَا خَطَرَتْ مِنْكَ الْهُمُومُ بِيَالِ
عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالِ
تَعَالِي أَقَاسِمُكَ الْهُمُومُ تَعَالِي
تَرَدَّدُ فِي جِسْمِي يُعَذِّبُ بَالِ
وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدُبُ سَالِ
وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالِ

في هذه القصيدة نجد الشاعر يُناجي حمامة قد وقفت بجانب محبسه وسجنه الذي سُجن فيه من قبل الروم، فعندما سمع نوح الحمامة خاطبها بلفظ الجوار؛ وفي ذلك دلالة على أنسه بها حين نزلت بجانب سجنه، ثم أخذ يسألها هل تشعر بحاله، وما يكابده من عناء الأسر الذي هو فيه، وكيف أنه يعاني من هذا الأسر لبعده عن موطنه وأهله وأحبابه، ثم إنه يخبرها أنه يُعيد الهوى ويعصمه من هذه الحمامة أنها لم تذق طارقة النوى - وهي نازلة البين والفراق والبعد عن الأحبة - ولم تخطر بها على بال، ولو أنها عرفت ذلك لما حملتها قوادمها على غصنها المرتفع عن الأرض، ثم أخذ في شكوى الدهر وأنه ما أنصف بينه وبين الحمامة؛ إذ هو الذي يُعاني ويُكابد في سجنه

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، ص: ٢١١ - ٢١٢

وُبعده عن الذي يحب ويهوى، وهذه الحمامة التي لم تذق ما ذاقه؛ تعيش حرة طليقة، فود لو أنه يقاسمها همومه ومعاناته، أو تقاسمه هي الحرية والانطلاق، وكيف أن روحه التي في جسمه قد أصابها الضعف والوهن مما هو فيه من حال تعب فيه جسماً وروحاً. وإنه ليعجب - لعلو نفسه - أنه يضحك وهو مأسور في السجن، وهي تبكي وتأخذ في نوحها وهي حرة طليقة؟! وأنه المحزون هو الأولى به البكاء، ولكنه صامت متجلد على نوائب الدهر وأذى الحبس والغربة عن الأحبة، وهي خالية من ذلك كله وتأخذ في الندب والبكاء والعويل؟! ويخبرها أنه أولى منها بهذا البكاء والنوح؛ ولكن نفسه الأبيّة تأبى عليه، وتفرض عليه الصبر في النوائب، وأنه لا يُعرف له دمع في النوائب التي تُلم به.

ومن خلال ما سبق نتعرف إلى شاعرٍ على ما يُكابده في السجن من غربة وُبعد عن الأحبة وكيف أنه أخذ في بث همومه وفقده لأحبه لطيرٍ - لا يدري ما يقول - وهو مع ما هو فيه له نفس أبيه تأبى الذل، وإن له قدراً لا يليق بمثله أن يتنازل عنه وأن لا يتضعض مع حلول المصائب والنوائب عليه، ومع ذلك لم ير أحداً أحق ببث الشكوى له من هذا الطائر الذي أخذ يُناجيه ويث له همومه.

ومن أمثلة مناجاة الطير في الشعر العربي القديم قيس بن ذريح قيس لبني^(١):

ألا يا غرابَ البين هل أنت مُخبري بخبرٍ كما خبّرت بالنأي والشرِّ
وخبّرت أن قد جدَّ بينٌ وقربوا جمالاً لبينٍ مُثقلاتٍ من الغدرِ
وهجّت قذَى عَيْنِ بِلْبَنِي مَرِيضَةٍ إذا ذُكِرَتْ فَاصَتْ مَدَامِعُهَا تَجْرِي
وقُلتَ: كَذَاكَ الدَّهْرُ مَا زَالَ فَاجِعاً صدقتَ وهل شيءٌ بياقِ عَلَيَّ الدَّهْرِ

وفيما سبق من الأبيات نجد قيس بن ذريح يُناجي الغراب ويُناديه بقوله: ألا يا غراب؛ وفي ذلك دلالة على التلطف معه بمحاولته لفت انتباهه بأداة الاستفتاح "ألا"، ويسأله هل أنت مُخبري ومُطمئني على لبني ومُبشرني بأنها في خير وسعة؟؛ فأنت الذي خبرتني قبل ذلك بفراقها عني، وأنهم قد رحلوا "قوم لبني"؛ وأخذوا لبني معهم وهي في جمال مثقله ومحملة من الغدر!!!؛ غدري بلبن حين طلقته، وغدر والدي بي حينما أشار عليّ بطلاقها، ولقد جعلت عيني حين فراقها تفيض بالدمع بجاريها وذلك من فرط اشتياقي لها.

وإنك يا غراب البين، قلت لي: اصبر يا قيس على نكبات الدهر الذي من دأبه أن يُسبب الفجيعة للأحباب بالفراق والنوى؛ ولقد صدقت؛ فما شيء في هذا الدهر باقٍ على حاله، بل كل ما فيه مُعرض للزوال وخاصة فيما يتعلق بمفارقة الأحباب.

(١) ديوان قيس لبني، ص: ٢٢

ويقول في موضع آخر^(١):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْتِ قَدْ طَرْتِ بِالَّذِي أُحَاذِرُ مِنْ لُبْنِي فَمَا أَنْتَ صَانِعُ
وَإِنَّكَ لَوْ أَبْلَغْتَهَا قِيلِي: اسْلَمِي طَوْتُ حَزَنًا وَارْفُضِي مِنْهَا الْمَدَامِعُ

ففي هذين البيتين يقول قيس مخاطباً ومعاتباً لمُعانده الغراب: لقد طرت بالذي أحاذر أي أخاف أن أفقده؛ فيسبب فقدانه لي الضرر وكذلك لبني محبوبتي، وهذا الشيء الذي طرت به مبتعداً به عني ليس سوى الحرز الذي كنت أحرزها به خوفاً عليها من الضياع، فماذا أنت صانع معي ومعها بعد الآن؟!!

وإنك لو أبلغتها قولي لها: اسلمي؛ أي اسلمي من آفة الحزن والبكاء؛ لطول حزنها في صدرها واستمرار نزول الدمع من عينيها؛ لاقتناعها بأني ما زلت أحبها حتى بعد طلاقها لها وابتعادي عنها.

حالة الشاعر النفسية:

ومن خلال ما سبق نرى أن الشاعر قد ركبهم الحزن والندم على طلاقه لزوجته لبني وأنه مازال متعلقاً بها وهائماً بحبها؛ فملك عليه هذا التعلق بما على نفسه وهذا ما جعله يصور حاله ومناه في مناجاته هذا الطائر "الغراب" - الذي هو في الأصل عدو له -، ولكن من شدة ما به من الندم على طلاقه للبني، ورغبته في أن يعود إليها وتعود له؛ جعله ينشد لعدو؛ عسى أن يكون صديقاً، وكما أنه "الغراب" كان السبب في الفراق؛ عسى أن يكون السبب في الاجتماع بلبني؛ وهذا من شدة الشعور بالهم الذي ركبهم وأغم عليه نفسه.

(١) ديوان قيس لبني، ص: ٥٦- ٥٧ .

ومن أشكال الخطاب الشعري في مخاطبة الطير:

المحاورة:

المحاورة مصدر: حاور، يُحاور، محاورة وحواراً فهو: مُحاور، والمفعول محاور حاور فلاناً: جاوبه وبادله الكلام^(١).

يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾^(٢).

وجاء في لسان العرب: المحاورة: المجاورة، والتحاور: التجاوب.

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة^(٣).

فالحوار يأتي في سياق الكلام بين طرفين أو أكثر، ولا يخلو هذا الحوار من أسلوب قصصي.

وأسلوب المحاورة في الشعر العربي لم يهتم به الشعر العربي في العصر الجاهلي، ولا في صدر الإسلام؛ لأن مداره على نظم قصص وحكايات، وإن كان قد وُجدت عندهم بدايات يسيره - وربما كانت غير مقصودة - كقصيدة الخطيئة "وطاوي ثلاث".

وأما بالنسبة للطير ومحاورة الشعراء له، وجعل ذلك في سياق الحكاية والقصة؛ فكما سبق أعلاه من عدم اهتمام الشعراء به؛ وجعلني ذلك لا أجد إلا بضع قصائد

(١) معجم المعاني الجامع مادة "حور".

(٢) سورة الكهف: آية ٣٧.

(٣) لسان العرب، لابن منظور مادة "حور".

ظهرت في العصر الأموي كان فيها هذا الأسلوب - أسلوب المحاورة -، وسأذكرها
أو بعضها؛ لنعرف سبب أنس الشعراء بالطير، وجعل ذلك الأنس بالطير والشكوى
وبث الهموم له في قالب الحكاية والقصة.

والإنسان بطبعه يتواصل مع من حوله من المخلوقات، والطير منها، وله مزية
دون غيره من المخلوقات المسخرة للإنسان لأمر سبق الحديث عنها^(١).

(١) راجع المبحث الأول من الفصل الأول

ومن أمثلة محاوراة الطير في الشعر العربي: قول مجنون ليلى^(١):

شَكَوْتُ إِلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرْنَا بِ
أَسْرِبِ الْقَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ
فَجَاوَبَنِي مِنْ فَوْقِ غُصْنِ أَرَاكَةِ
وَأَيُّ قَطَاةٍ لَمْ تُعْرِكَ جَنَاحَهَا
وَإِلَّا فَمَنْ هَذَا يُؤَدِّي رِسَالَةً
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو صَبُوتِي بَعْدَ كُرْبَتِي
أَلَا قُلْ لِيَلِي هَلْ تَرَاهَا مُجِيرَتِي
أَظَلُّ بِحُزْنٍ إِنْ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ
بَكَتْ حِينَ دَرَّ الشَّوْقُ لِي وَتَرْتَمَّتْ

فَقُلْتُ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ
أَلَا كُنَّا يَا مُسْتَعِيرُ مُعِيرُ
فَعَاشَتْ بِضُرِّ وَالْجَنَاحِ كَسِيرُ
فَأَشْكُرُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ شَاكُورُ
وَنِيرَانُ شَوْقِي مَا بِهِنَّ فُتُورُ
فَأِنِّي لَهَا فِيمَا لَدِي مُجِيرُ
مِنَ الْوَرَقِ مِطْرَابُ الْعَشِيِّ بَكُورُ
فَلَا صَحْلُ تُرْبِي بِهِ وَصَفِيرُ

تعبّر الأبيات عن أعماق مشاعر هذا الشاعر الملتاع، وتبوح بمشاعر الجوى والحب، وتكشف ألم الفؤاد المكلوم وصدى الحياة المريرة، التي تُظلل هذا العاشق الوله بمحبوبته "ليلى".

إن الشاعر ينقل لنا صدق مشاعره تجاه ليلى وفقده لها في هذه الأبيات السابقة في صور فنية رائعة تتمثل في صياغته قصته مع سرب القطا حين مر به وهو هائم في إحدى البراري.

(١) ديوان مجنون ليلى - شرح عدنان بن زكي بن درويش. دار صادر. بيروت. ص: ٩٩ - ١٠٠

بدأها بكائه عندما مرَّ به سرب وهو في وضع الطيران فخطبهم وناجهم وهو في حال جعلته يتعلق بأمل في أنها تساعد وتعطيه ما يطلب؛ وقال لها مستفهماً ومتسائلاً: أيا سرب القطا هل منكن من تُعيرني جناحها؛ لعلِّي أطيّر به إلى من قد أحببت وتعلق قلبي بهواه، ولقد اختار الشاعر أن يطلب من الطير جناحيه لكي يتمكن من الطيران إلى محبوبته دون مشقه ودون عناء السفر والبحث عنها، وجعلته نفسه يتمنى ذلك لئلا يجد صعوبة في الوصول إليها بسرعة.

وقد استخدم الشاعر كلمة "العلي" وهي تعني الرجاء؛ ليصور صدق مشاعره تجاه من حُرِم رؤيتها وأصبح هائماً على وجهه يطلب أخبارها ويسأل عنها كلَّ من يقابله - إذا عرف أنه مسافر أو قادم من ديار قبيلتها التي هاجروا إليها بعد أن منعه الزواج بها.

وحكى لنا قيس في قصيدته بأن جميع القطا أجابه وهو واقف على غصن شجرة أراك؛ بأننا نُعيرك أيها المستعير المستنجد بنا وإنا على استعداد لنجدتك وعونك على ما أنت فيه من لهفةٍ إلى لقاء من تُحب.

وأن أي قطة منا لا تعيرك جناحها فنحن ندعوا عليها بأن يصيبها الضرر ويكسر جناحها وتعيش هكذا مكسورة الجناح لا تستطيع الطيران، ثم قال لها: وإذا لم تعرنني جناحاً فمن يحمل رسالتي ويؤدِّبها إلى من أحب؟ فأشكره، وإن المحب لشكور لمن يُعنيه في التواصل مع محبوبته، ثم أخذ يقول:

إلى الله أشكو حنيني وضيق صدري من شدة الحزن؛ فنيّران شوقي لا تهدأ ولا تعرف فتوراً.

ثم أخذ يُلمي الرسالة التي يُريد إيصالها إلى ليلى ويقول:

اسألوا ليلى: هل هي مجيرتي إذا ذهبت للقائها؟ هل تُجيرني من أهلها، فإنني لو كنت مكانها لأجرتها بكل ما لدي وما أملك، وأخبروها أنني في حال من الحزن والهم يكون في ازدياد عليّ كلما تغنّت حمامة وغرّدت على غُصنها، حتى إن الحمامة بكت حين رأت شدّة شوقي وعذابي؛ وغنّت بصوت طرب فلا هو مبحوح ترثي به ولا هو ضعيف فيه صفير، يُعبر عن فرحة وسعادة وأملٍ في لقاء قريب.

من خلال هذه الأبيات تستطيع التعرف على نفسية الشاعر والتي هي: نفسية تحمل حبا عظيماً وشوقاً كبيراً لليلى؛ جعله في حالة وصف يسببها بالمجنون -مجنون ليلى - إنني حين أراه يطلب من القطا: جناحاً يستعيره منها؛ فهذا يدل على أنه من شدة شوق جعله يعيش ما يُسمى بـ "أحلام اليقظة"!!

وأنه خاطب وتحدث إليه وأرسل معه رسالة محملة بالشوق وصدق المشاعر ليوصلها إلى ليلى.

وقد جاء في القصيدة: "فجاوبني - كلنا"، وهذا يدلنا على أن الشاعر رأى في الطير دون البشر نجدته له ووقوفه بجانبه.

اختيار الشاعر طائر القطا؛ يُعطي إشارة إلى أنه قد فارق أهله دياره، ورضي بالبقاء في البرية؛ لأن طائر القطا: طائر يعيش في البراري، والشاعر رأى أنسه في البراري يُخاطب فيها الطيور ويستأنس بغنائها أو نوحها.

وحبه الصادق جعله يُخرج لنا عيوناً من قصائد الغزل والشوق والحنين.

ومن أمثلة محاوراة الطير في الشعر العربي: يقول عنتره^(١):

وَلَقَدْ نَاحَ فِي الْعُصُونِ حَمَامٌ فَشَجَانِي حَنِئُهُ وَالنَّجِيبُ
بَاتَ يَشْكُو فِرَاقَ الْفِ بَعِيدٍ وَيُنَادِي أَنَا الْغَرِيبُ الْوَحِيدُ
يَا حَمَامَ الْعُصُونِ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي عَاشِقًا لَمْ يَرْقُكَ غُصْنٌ رَطِيبُ
فَاتْرُكِ الْوَجْدَ وَالْهَوَى لِحُبِّ قَلْبُهُ قَدْ أَذَابَهُ التَّعْذِيبُ
كُلُّ يَوْمٍ لَهُ عِتَابٌ مَعَ الدَّهْرِ رَرٍ وَأَمْرٌ يُحَارُ فِيهِ اللَّيْبُ
وَبَلَايَا مَا تَنْقُضِي وَرَزَايَا مَا لَهَا مِنْ نِهَائَةٍ وَخُطُوبُ

الآيات السابقة تُخبر بحوار قصير دار بين عنتره وبين طائر الحمام؛ حيث ذكر الشاعر في قصيدته أنه سمع حماماً على أغصان الشجرة ينوح ويكي، وبكاءه قد أحزن عنتره وحرك ما فيه من وجد وشوق إلى عبلة، وبأنه أخذ يشكو لعنترة فراقه لإلفه وحببيه البعيد عنه، وينادي يقول: أنا الوحيد الغريب لا أنيس لي بعد فقدي لإلفي فأخذ عنتره في الرد عليه وجوابه: بأنك لست عاشقاً مثلي، ولو كنت عاشقاً بحق وصدق لم يهنأ لك العيش على غصن، ولعشت حياة لا راحة فيها ولا سعادة؛ لبعذك عن من تحب وفراقك له.

أيها القمري، اترك الحب والشوق للذي قلبه قد ذاب من التعذيب.

فإن اللوعة والغرام قد حُيِّت إليّ؛ فأصبحت أقاسي الفرقة وألم البعد عن محبوبتي عبلة، وقد أصبح يُعاتب الزمن والدهر؛ لأنه السبب فيما هو فيه؛ يأخذ في عتاب

(١) ديوان عنتره ص: ٧٨

الدهر ويخاطبه بقوله: أنت السبب في فراق من أُحب، إني في أمرٍ من الهم والشوق ما يحار فيه العاقل اللبيب من هول ما يرى بي وما أكابده، وما يحل بي من مصائب ورزايا لا نهاية لها وكل ذلك بسبب الدهر الذي تعرض لي؛ فأفقدني عبلة، وفارق بيني وبينها، وأقام على صروفاً من مصائبه، وخطوب وأحداثٍ جسام، تجعلني أتودد للدهر بالعتاب عله يُخفف عني مما يُحله بي من البلايا.

من خلال الأبيات التي قالها عنتره؛ نجد في حال من الحزن على فراق عبلة حزناً شديداً، جعله ينكر حزن غيره على من فقد أليفه، وهذه حال وصل لها الشاعر من ضيق النفس، وتشتت الذهن، وكثرة الشكوى، والإحساس بأنه محارب من جميع من حوله؛ لما تابعت عليه المصائب متتالية من فقد عبلة، وأن كل من يشكو فراق حبيب فهو دونه في الوجد والشوق لمن يُحب.

ومن أشكال الخطاب الشعري في مخاطبة الطير

المناداة:

والمناداة^(١) مصدر: نادى، ناد، نداء، ومناداة، فهو مُنادٍ، والمفعول: مُنادَى.
والنداء: طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف ناب مناب "أدعو"^(٢).
وللنداء أدوات منها: الهمزة - أي - أيا - "يا" وهي أصل أدوات النداء^(٣).
والنداء من أساليب الإنشاء الطلبي، وتعد النداء ركيزة رئيسة في معظم قصائد
مخاطبة الطير وأحد الظواهر الأسلوبية المهمة في نسج القصيدة.
والنداء جاء في صور وألوان متعددة في مواقف مخاطبة الطير، والاستهلال
والافتتاح في القصيدة بالنداء؛ يُعد أمراً طبعياً في موقف يُبنى على الخطاب والحديث إلا
أن جملة النداء في القصيدة مع السياق الذي ترد فيه في القصيدة:
كثيراً ما تشعر بالكلام القادم، وتلقي في المسامع عمق المعنى، وتقرب إلى
الأذهان ذلك الصوت الذي همس به الشاعر للطير في موقف مناداته له.
والشاعر حين يخاطب الطير؛ يكون في مخاطبته مستخدماً النداء، في صورته
الحقيقية والجازية، وهو جزء لا ينفصل من "الخطاب" أو المحادثة إيقاظاً للحس، أو
لأهمية ما سيُلقي، أو إيناساً باسم المنادى، ونحو ذلك من المقاصد التي قد يطرقها
الشاعر بسبب ندائه هذا الطير أو ذاك.

(١) المعجم الوسيط، مادة "نادى".

(٢) شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك - باب المنادى، ص ٢٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

من أمثلة مناداة الطير في الشعر العربي:

ما قاله الشاعر الصنوبري في رثاء ابنته ليلى^(١):

ألا يا أيها القمري كم ذا
أجدك تشتكي جزعاً وتبكي
فقع في باب قنسرين فانظر
نساء في حداد صائحات
ينادين الأحبة في صخور
ينحن وما نحن شبيهة ليلى
أبت رؤيا السُرور عيون قوم
سأبكي ما بكى القمري بنتي
ألست أحق أن أبكي عليها
تغرّد في الرواح وفي البُور
لمفقود كبير أو صغير
إلى جزع النساء على القُور
كغربان تصايح في الوكور
وكيف يجيب من تحت الصُخور
وينحرن الدموع على الثُحور
رأوا ليلى تسير على سرير
ببحر من دموعي بل بحور
إذا بكت الطيور على الطيور

ابتدا القصيدة بنداء القمري لما سمع في صوت القمري نياحة على ألفه، وقال له:
أحقاً تبكى وتشتكى لفقد إلفك؟ هذا ليس بكاء حقاً؛ وإنما إذا أردت الحزن والبكاء،
فأذهب إلى قنسرين - الموضع الذي فيه قبر ابنته - وانظر إلى النساء وحزنهن وبكائهن
على من وسدت في القبر، وكيف جزعهن!!!

نساء أخذن من شدة الحزن والفقد في صياح طويل، وهن مُجتمعات حول قبر
ابنته، كاجتماع الغربان في وكورها.

(١) ديوان الصنوبري، ص ٩٧.

أخذن في الندبة والتفجع والحزن وأصبحن ينادين من تحت الصخور والتراب ممن
فُقدن....

ولكن هيهات.... كيف يجيب من تحت التراب!!!!

ثم يذكر الشاعر بأنه بموت ابنته - أخذت عيونه من الدموع تنهمر، وأن عيناه
أبت أن ترى طريقاً للسرور والفرح، لأنها: رأت ليلي وهي تُحمل على جنازتها، ومن
شدة حُزنه على ابنته أخذ يقول: سأبكي عليها ببخور من الدموع، غير مُنقطع في
بكائي.

ومن خلال ما سبق نرى أن الشاعر الصنوبري قد أصابه الحزن والهم في فقد
ابنته بلغ مبلغاً يرى فيه: أن أي بكاء على فقد حبيب ليس كبكائه على ابنته ليلي،
ولوعة الشاعر على ابنته كانت قوية فهي قد صدرت في بيئة ترى البكاء على النساء
عاراً إلي وقت قريب من زمن الصنوبري، ومع ذلك من شدة تعلقه بابنته وصدق
مشاعره أخذ يرثيها بهذه القصيدة وغيرها من القصائد.

ومن أمثلة مناداة الطير في الشعر العربي:

ما قاله: كليب بن ربيعة التغلبي - وقيل طرفه - مع اختلاف بينهما يسير في الأبيات، يقول كليب:

بَالِكِ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرِي لَا تَرْهَبِي خَوْفًا وَلَا تَسْتَنْكِرِي
قَدْ ذَهَبَ الصَّيَادُ عَنْكَ فَأَبْشِرِي وَرَفَعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي
خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَبَيْضِي وَاصْفُرِي وَنَقَّرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي
فَأَنْتِ جَارِي مِنْ صُرُوفِ الْحَذَرِ إِلَى بُلُوغِ يَوْمِكَ الْمُقَدَّرِ

الأبيات السابقة كما شارح سابقاً أنها لكليب وقيل^(١) لطرفه بن العبد مع اختلاف يسير بينهما في الأبيات من حيث الألفاظ وسأطرق إلى تحليلها مع بيان سبب نسبة الأبيات لكل منهما.

كان لكليب بن ربيعة حمى لا يُقرب هذا الحمى فجاءت قُبْرَهُ وأقامت في هذا الحمى، وباضت فيه بيضها.

فأجار كليب هذا البيض، وقال لها مخاطباً: بأنك قبره في مأمن فلا ترهبي ولا تستنكري شيئاً قُرْبَ إلى بيضك وعشك فأنت في حماي وسيطول عمرك، لأنه لن تتعرضي في حماي للأذى الذي قد يكون سبباً في هلاكك فأبشري بزوال الخطر عنك من الصياد وفخه فضعي بيضك وأنت في مأمن وصرفي ما شئت من الصغير ونقري ما شئت من النقيير فلن يضرك شيئاً من صرروف الخطر إلى أن توفي أجلك المقدر.

من خلال ما سبق من الأبيات وشرحها:

أجد أن الشاعر يملك نفساً عظيمة وشرفاً وسطوة، تجعله يُجِير طيراً في مملكته وحماه.

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم - لليوسي - "خلا لك الجو فيصفي واصفري". ص ١٩٩.

وأما ما نُسب إلى طرفه من أبيات فهي^(١):

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفَرِي
قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي وَنَقَّرِي مَا شِئْتُ أَنْ تُنْقَرِي
قَدْ ذَهَبَ الصَّيَادُ عَنْكَ فَأَبْشِرِي لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُصَادِي فَاصْبِرِي

وقيل^(٢) إن أول من قال هذه الأبيات هو طرفه بن العبد الشاعر الجاهلي وذلك أنه قال لأمه وهو غلام: إني أريد صيد القنابر^(٣) فابعثي أمتك مع البهم كي ترعى بها فقالت له أمه: يا بني إن المضيع من وكل ماله، وأضاع عياله، ثم أنها أرسلت أمتها مع البهم.

وخرج طرفه وصاحب له معهما فخ، حتى أتيا مكاناً كانا يعهدان به القنابر كثيرة، فنصبا الفخ، وتنحيا غير بعيدين، فجعلت قبرة تحوم حول الفخ، ثم فقرته فأخطأها، فأقبل طرفه بن العبد نحو فخه وهو يقول:

قد يعثر الجواد، وتمحل البلاد، ويذهب التلاد، ويضعف الجلاد، ثم نصب فخه فوقعت القنابر حول الفخ، وهي تحيد عنه وتلقط ما أصابت، فلما طال ذلك به ضجر وانتزع فخه، وهو يقول:

قَاتَلَكُنَّ اللَّهُ مِنْ قَنَائِرٍ مُهْتَدِيَاتٍ بِالْفَلَا نَوَافِرٍ
وَلَا سُقَيْتُنَّ مَعَيْنَ الْمَاطِرِ وَلَا رَعَيْتُنَّ جَنُوبَ الْحَاجِرِ

(١) ديوان طرفه، ص ١٢.

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم - لليوسي - "خلا لك الجو فبيضي واصفري". ص ١٩٩.

(٣) القنابر: جمع قنبرة وقبرة وقنبرة وهو: ضرب من الطير يشبه الحمرة - لسان العرب - لابن منظور - "قبر"

وانصرف هو وصاحبه راجعين، ثم التفت فإذا القنابر قد سقطن بالموضع الذي
نصب فيه فخه يلتقطن، فقال:

بَالِكِ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ الأبيات السابقة أعلاه

فلما أتى إلى منزله ورأته أمه لم يصد شيئاً، قالت له: حدك اليوم حاد، وصدك
صاد!!! فقال لها طرفة:

مَا كُنْتُ مَحْدُوداً إِذْ غَدَوْتُ وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا لَقِيتُ

مِنْ طَائِرٍ ظَلَّ بِنَا يَحْوُتُ^(١) يَنْصَبُ فِي اللُّوحِ فَمَا يَفْوُتُ

يكاد من رهبتنا يموت

فقال له أمه: إني لأرجو أن تكون شاعراً وأن تُشبه خالك.

ومن خلال أبيات طرفه في القبرة، يتضح لي مقدرة طرفة الشعرية - على حداثة
سنه- في وصفه لرحلته مع صاحبه لصيد القنابر، وما جرى عليهما في صيدها.

صورها طرفه في أبيات صورة فنية، حتى توسمت فيه أمه أن يكون شاعراً مثل
خاله المتلمس، ومن الموافقات أن طرفه أصبح من شعراء المعلقات على أنه مات مقتولاً
وهو في شبابه وهو: ابن ست وعشرين سنة.

(١) حات، يحوت: أسرع.

المبحث الثاني

وظيفة الخطاب

من مسوغات مخاطبة الشعراء الطير في الشعر العربي:

أ- البوح:

جاء في لسان العرب^(١): البوح: ظهور الشيء. وباح الشيء: ظهر وباح به بوحاً: أظهره وأباحه سرّاً فباح به بوحاً: أبته إياه فلم يكتمه فالبوح والبث بالمشاعر: تعبير عن آلام الإنسان المكنونة وأحزانه المؤلمة وأشواقه الحارة ومشاعره الفياضة. والبوح بالمشاعر من الموضوعات المرتبطة بحياة الإنسان منذ أن وُجد ولن تنتهي إلا بانتهائه.

وإذا نظرنا إلى موضوع البوح بالمشاعر وبنها في الشعر وعلاقته بالطير، وجدنا ذلك متواجداً في الشعر العربي، لأن غناء الطير من مهيجات الشجن والطرب على حد سواء، فمن الشعراء من يرى غناؤه يسري عنه، ومنهم من يراه مبعثاً لشجونه وأحزانه، ومن أكثر الطيور ذكراً في هذا الباب: "الحمامة أو الحمام"، فقد تردد على ألسنة الشعراء بكثرة دون باقي أصناف الطير الأخرى، لما يُهيج نوح الحمام من كوامن الأشواق، ولوعة الحنين، وحُرقة الجوى.

(١) لسان العرب - لابن منظور - مادة "بوح".

وقد ذكر الشريشي^(١) ((أن الحمام كثر ذكره في أشعار العرب، ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام، وتغريد البلبل والورشان، وقد ذكرت العرب من رقة تسجيعة ما يبعث التذكر، ويُولد الشجون، ويُهيج الأسى، ويُحدد رقة القلب حتى يجعل البكاء فرضاً معها، والتصابي لازماً لأجلها.....)).

وعادةً ما يرتبط ذكر الحمامة أو الحمام في الشعر العربي مع الفراق، فأكثر الشعراء قد وقف عليها، فكانت بينهما ألفه وشجن واستنطاق.

وبهذا استأثر طير الحمام باهتمام كثير من الشعراء حتى احتل مساحة واسعة في شعرهم.

(١) شرح مقامات الحريري - للشريشي - ج ١ ص: ٣٦

ومن أمثلة البوح للطير والبث له:

ما قاله عنتره حيث قال^(١):

يا طائرَ البانِ قد هيَّجتَ أشجاني
إن كنتَ تندُبُ إلْفاً قد فُجِعتَ به
زدني من النوحِ وأسعدني على حزني
وقِفْ لِتَنْظُرَ ما بي ولا تُكنُ عَجِلاً
وطِرْ لعلَّكَ في أرضِ الحِجازِ ترى
يسري بجاريةٍ تنهَلُ أدمعها
ناشدتُكَ اللهُ يا طيرَ الحِمامِ إذا
وقُلْ: طريحاُ تركناه وقد فَيَّتْ

وزدتني طرباً يا طائرَ البانِ
فقد شجاك الذي بالبين أشجاني
حتى ترى عجباً من فيضِ أجفاني
واحذرْ لِنَفْسِكَ مِنْ أَنْفاسِ نيرانِ
ركباً على عالجٍ أو دُونِ نَعْمانِ
شوقاً إلى وطنِ ناءٍ وجيرانِ
رأيتَ يوماً حُمُولَ القومِ فأنعاني
دُموعُهُ وهو يبكي بالدمِ القاني

في الأبيات السابقة نجد أن عنتره قد مر على طائر فوق شجرة يُغرد بصوت جميل حرك مكان الشوق في نفسه ولوعة البعد في قلبه.

فخطبه قائلاً له: لقد هيجت أشجاني وأحزاني يا طائر البان فزدني من نوحك، واستمر في خطابه متحدثاً إليه، مسترسلاً معه، وكأنما يراه يصغي إليه ويستمع له.

إن كنت بنوحك هذا تتوجع وتتألم من فراق حبيبك، وإفك وقد أصبت بفراقه والبعد عنه؛ فإني أُخبرك وأبوح لك بأن الذي أشجاك وأحزنك من فقد من تحب، هو الذي يُحزنني؛ فلقد فقدت عبلة حين فارقتني وذهبت عني، فزدني من هذا النوح

(١) ديوان عنتره. ص: ١٧٨ - ١٧٩

والبكاء الذي سيريك مني عجباً بيكائي على عبلة بكاء شديداً تفيض به مقلتي ولتنظر
إلى حالة البؤس والعذاب، وضيق صدري الذي تخرج منه الزفرات والأنفاس كالنار
من شدة ما تحمله نفسي من شوقٍ ولوعةٍ لعبلة.

أيها الطائر الجميل، حبذا لو تطير وتذهب إلى أرض الحجاز لعلك ترى الراكب
الذي فيه عبلة في وادٍ نعمان^(١)، وإذا أردت أن تعرف ركبهم؛ فانظر إلى ركب
يسيرون ومعهم فتاتي الجميلة التي تسيل أدمعها شوقاً لي وحنناً علي فراقني.

ناشدتك الله يا طير الحمام إذا وجدت ركب القوم، فانعني لهم، وبلغهم ما أنا
فيه، من عذاب وشوق ومعاناة، وقل لهم: تركنا عنتره طريحا ملقى على الأرض يبكي
شوقاً حتى فنيت منه الدموع من كثرة البكاء وأنه قد استنفذ دموعه ووصل إلى مرحلة
بكاءٍ بالدم القاني من شدة الفقد والجوى.

(١) وادٍ يقع بين المدينة والطائف.

ومن أمثلة البوح للطير والبهائم له:

ما قاله قيس بن الملوح حيث قال (١):

ألا يا حمامي بطن نَعْمَانِ هَجْتُمَا
وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَّ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ
وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرَيْتَانِ تَجَاوَبَا
ألا لَيْتَ شِعْرِي مَا لِلَّيْلِ وَمَا لِيَا
ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى
لَيْنَ ظَعْنِ الْأَحْبَابِ، يَا أُمَّ مَالِكِ
فِيَا رَبِّ إِذْ صَيَّرْتَ لَيْلَى هِيَ الْمُنَى
وَالْإِبْغَضُهَا إِلَيَّ وَأَهْلُهَا
عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
خَلِيلِيَّ إِنْ ضُنُّوا بِلَيْلَى فَقَرَّبَا

عَلَيَّ الْهُوَى لَمَّا تَغَيَّتُمَا لِيَا
أُبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
بَلَحْنِيكُمْ ثُمَّ اسْجَعَا عَلَّانِيَا
وَمَا لِلصَّبَا مِنْ بَعْدِ شَيْبِ عَلَانِيَا
إلى من تشيها أو بمن جئت واشياً
فَمَا ظَعْنَ الْحُبِّ الَّذِي فِي فُؤَادِيَا
فَرَزْنِي بَعَيْنَيْهَا كَمَا زَنْتَهَا لِيَا
فَإِنِّي بِلَيْلَى قَدْ لَقِيتُ الدَّوَاهِيَا
وَإِنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْيَاسِ طَاوِيَا
لِي النَّعْشِ وَالْأَكْفَانِ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا

في الأبيات السابقة نجد مجنون ليلي ينادي حمامتين ويقول: لقد أهجتما وحرکتما الحب في نفسي بغنائكما لي وتغريدكما، فجعلني ذلك أبكي وأنا بين أصحابي - وليس من عادات الرجال البكاء أمام بعضهم - ولو كنت خاليا لوحدي أبكي من حب ليلي لم أبال ولم أخرج من بكائي عليها، ولا من تساقط أدمعي بسبب شوقي إليها.

(١) ديوان مجنون ليلي - شرح عدنان زكي درويش - دار صادر - بيروت، ص ٢٣٠-٢٣١.

وخاطب قيس القمريتين وطلب منهما: أن يتناوبا باللحن والتغريد ثم يسقيانه من سجعهما وترتيلهما، ثم أخذ قيس بيث ويوح بما يعانيه ويكابده مما صار فيه من حب ليلي ويقول: مالي ولليلي وهذا التعلق بها والشوق لرؤيتها وقد علاني المشيب وكبرت سني، فلستُ بالشاب الذي يقوى على صبر الفقد والبعد عن الحبيب ثم أخذ يؤنب ويعاتب من وشى بحبه لليلي إلى أهلها وكيف أنه أكرم بوشايتها هذه، وأنه قد أصبح في حالٍ لو رآه من وشى به، ودَّ أنه لم يكن قد وشى به.

ثم أخذ قيس يخاطب ليلي، ويكنيها بكنيتها. "أم مالك"؛ وكأنه يشعر أن القمريتين تنصتان إليه وتستمعان إلى خطابه.

ويقول: لئن رحلت عني يا ليلي؛ فما رحل حُبك من فؤادي، بل بقي في قلبي، وصرتُ أكابد الشوق والحنين الذي لك في فؤادي.

وأخذ قيس من شدة ما به من جوى وشوق وفقد يدعو ربه ويقول: يا رب أنت الذي جعلت ليلي كل مناي ومطلب في هذه الدنيا؛ فزيني يا رب في عينيها وجملني حتى أكون منها كما هي مني، لتبادل المشاعر والأشواق.

وما زال قيس يناجي ربه فيقول: إن لم تُزيني - يا رب - في عينيها كما زيتها في ناظري، فبغضها إليّ، واجعلني لها كارهاً ولأهلها أيضاً، فبحبي لها قد أحاطتني المصاعب والمشاق والأمور الدواهي: من شوق وغربة وبُعدٍ وتفريقٍ وكمدٍ وتعب.

وختلاصة القول:

إنَّ تغريد الحمامتين هَيَّجَ في نفسه الحب، وطلب بأن يستمر في ذلك الغناء، وأن يسقيه من هذا الغناء؛ لأنه لا يجد راحة إلا في تذكر ليلي على الدوام دون انقطاع، ويظهر لنا أثر تعلقه الشديد بليلى الذي أخذ بلبه، أن دعا الله - عز وجل - إن لم يزينه في نظر ليلي ويجعلها تبادلها ما بيته لها من أحاسيس ومشاعر، أن يُغض ليلي في قلبه من هول ما يجد ويكابده بسبب حُبها وعشقه ويظهر لنا ذلك في موضع آخر من القصيدة: شدة تعلقه بليلى حباً وشوقاً وصبابة: أن عرف صاحبيه بأنه سيموت، إن لم يظفر بليلى أو مُنعت عنه أو مُنعت عنها.

ومن أمثلة البوح للطير في الشعر العربي، قول الخنساء^(١)

ألا أيها الديك المُنَادِي بِسَحْرَةٍ هَلُم كَذَا أُخْبِرُكَ مَا قَدْ بَدَا لِيَا
بَدَا لِي أَنِّي قَدْ رُزِئْتُ بِفِتْيَةٍ بِقِيَّةِ قَوْمٍ أَوْرَثُونِي الْمَبَاكِيَا
فَلَمَّا سَمِعْتُ النَّائِحَاتِ يَنْحَنُّهُ تَعَزَّيْتُ وَاسْتَيْقَنْتُ أَنْ لَا أَخَالِيَا
كَصَخْرٍ بِنِ عَمْرٍ وَخَيْرٍ مَنْ قَدْ عَلِمْتُهُ وَكَيْفَ أُرْجِي الْعَيْشَ ضَلَّ ضَالِيَا
وَمَا لِي لَا أَبْكِي عَلَى مَنْ لَوْ أَنَّهُ تَقَدَّمَ يَوْمِي قَبْلَهُ لَبَكَى لِيَا
وَإِنْ تُمَسِّ فِي قَيْسٍ وَزَيْدٍ وَعَامِرٍ وَغَسَّانَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُ الدَّهْرَ لَا حِيَا

في الأبيات السابقة أرادت الخنساء رثاء أخيها صخرًا كما قد رثته بقصائد أخرى، فنادت طيرًا، كي تبثه أحزانها وتبوح له بما آل له حالها، ولكنها لم تنادِ طائر الحمامة هذا الطائر الذي كان ملجأ غالب الشعراء إذا أرادوا البوح بحالهم وبث مشاعرهم؛ فقد عمدت إلى بثِّ حزنها وجزعها إلى الديك المنادي في السحر، وباحت له بمصائبها، قائلة له:

أيها الديك المنادي بسحر^(٢) أقبل؛ كي أخبرك ماذا حل بي وماذا جرى لي، إني قد أصبت بفتية من قومي، وهذا المصاب الذي حل بهم قد ترك لهم عندي من عظيم فقدهم البكاء والنوح عليهم، وإن هؤلاء الفتية الذين فقدتهم من قومي، قد كان من بينهم أخي صخر ولم أكن أعرف بقتله، حتى سمعت النساء يندبنه وينحن عليه،

(١) ديوان الخنساء - ص ٩٩

(٢) السحر: آخر الليل وقبيل الفجر

فتيقنتُ حينها أنه لم يعد لي أخٌ في هذه الحياة، فقدتُ أخي صخرًا، ولا أعلم رجلاً
ولا أخاً خيراً منه، وكيف تطيب لي الحياة بعد فقدته والعيش بعده.

أبكي علي صخر وأندبه وأرثيه، وحق لي ذلك أيها الديك.

وكيف لا أبكي عليه، وأنا أعلم بمحبي ومعزّي عنده، وبأني لو تقدمته في
الموت؛ لبكى عليّ وحزن لفراقي وموتي، وإنك أيها الديك لو تمسّي في قبائل العرب
لا تسمع له أحداً يُقبّحه أو يشتمه لكريم خصاله، وشريف سجاياه، فأني لمثل من هذا
حاله أن يذمه الناسُ أو يعيبوه.

ومن خلال هذه الأبيات التي تعبر عن:

شدة تعلق الخنساء بأخيها صخر، وشدة تأثرها بقتله وفجيعتها بفقدته، برغم أنها
فقدت معه أباها معاوية ولكن كان صخر أقرب إلى نفسها وأشدّ عطفاً عليها، فكان
حزنها عليه حزناً شديداً وبكت عليه بدموع لا تنقطع.

ولعل في مخاطبتها الديك دون غيره؛ ما يُشعر بمدى الحزن الذي تعيشه والفقد
الذي تكابده، جعلها تسهر ليلها في بكاءٍ وأنين؛ حتى انتبهت لصوت الديك الذي من
عادته الصياح بالسحر.

ولقد رثت الخنساء أباها صخرًا رثاءً طويلاً بقصائد تُعد من عيون الشعر العربي
في الرثاء.

ومن مسوغات مخاطبة الشعراء للطير في الشعر العربي:

(ب) الأُنس بالطير:

أُنس - يأنس - أنساً، فهو أنس، والمفعول: مأنوس إليه.

أُنس إلى فلان - أنس بفلان: سكن إليه، وذهبت به وحشته، وألفه وارتاح إليه^(١).

وجاء في اللسان^(٢): والأُنس: خلاف الوحشة.

كان الشاعر حينما يرى الطير؛ يأنس إليه ويرتاح؛ ويأخذ في مخاطبته، ومشاركته فيما هو فيه من تغريد - كل منهما بلغته-.

فهو يُناجي الطير؛ رغبةً في مشاركته أحزانه؛ لشعوره بالوحدة والوحشة حيث لا أنيس له من البشر، أو لرسالة يقوم الطير بتوصيلها بطلب من الشاعر لمحبوته، أو ليطلب منه أن يأتي بخبر من يُحب ويعشق.

وأكثر الطيور أنساً وقرباً من الشعراء: طائر الحمام؛ - كما أُشير إليه سابقاً- وأن هديل الحمام يُحرّك المشاعر في أنفس الشعراء، ويبعثهم على الأُنس بهديله؛ فحظي هذا الطائر بمكانة خاصة في الشعر العربي، وتناوله الشعراء في قصائدهم؛ حتى كان له رصيد ضخم دون سائر الطيور.

(١) المعجم الوسيط. مادة: أنس.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة: أنس.

وهم في ذلك مختلفون - أي الشعراء - من خلال الحالة النفسية والشعورية لدى كل شاعر حين سماعه هديل الحمام وتغريده الحزين، ومن الشعراء من يرى فيه نوحاً، ومنهم من يرى فيه أنساً، والمُبتهج والفرح منهم يرى في صوت الحمام تغريداً، والخالي من شعور من سبق يرى فيه طمأنينة وسكينة.

والملاحظ: أن الحزن والنواح هو الأساس عند الحمام؛ فالحمام بهديله وسجعه بريد العشاق، وأنيس المحزونين، وسمير المغتربين، وعادة ما يجد الشاعر في هديل الحمام بكاءً حزيناً يُلقى في نفسه المتاعاة، التي تحمل الشوق لمن يُحب، والجوى عن فقدته من هجر.

ومن أمثلة مخاطبة الطير للأنس به؛ قول: شفيق بن سُلَيْك الأَسدي^(١):

| | |
|------------------------------------------------|---------------------------------------------------|
| وَلَمْ أَبْكِ حَتَّى هَيَّجْتَنِي حَمَامَةٌ | تُعْنِي حَمَامَ الْوَرَقِ فَاسْتَخْرَجْتُ وَجْدِي |
| فَقَدْ هَيَّجَتْ مِنِّي حَمَامَةٌ أَيْكَةً | مِن الْوَجْدِ شَوْقًا كُنْتُ أَكْتُمُهُ جُهْدِي |
| تُنَادِي هَدِيلاً فَوْقَ أَخْضَرَ نَاعِمٍ | غِذَاهُ رِيْعٌ بَاكِرٌ فِي ثَرَى جَعْدِ |
| فَقُلْتُ تَعَالَى نَبِكٍ مِنْ ذَكَرٍ مَا خَلَا | وَنَذَكَرُ مِنْهُ مَا نُسِرُّ وَمَا تُبْدِي |
| فَإِنْ تُسْعِدِينِي نَبِكٍ عَبْرَتَنَا مَعَاً | وَإِلَّا فِإِنِّي سَوْفَ أَسْفَحُهَا وَحْدِي |

الشاعر هنا قد هيَّجته حمامةٌ بغنائها، وحركت ما يحاول كتمانها من الحب والوجد؛ فدعاها ليتباكيها معاً على ذكرياتها، ولتبادلا أحاديث الحب والهيام ما خفي منها، وما بدا.

(١) الزهرة، لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، ت: د. إبراهيم السمراي، مكتبة المنار، الأردن: الزرقاء.

وخاطبها:

إن أردت أن تسعديني وتفرحيني وتؤنسيني؛ فابكي معي؛ فإن غناءك قد هيَّج
الشوق والحب في قلبي، وإن لم تستجبي لطلبي ورغبتني في البكاء معي وتأنيسي لحزني
ووحشتي؛ فإنني سوف أبكي وأهمر دموعي وحدي؛ حيث لا أنيس لي من البشر أبته
ما أكابد من حزن ولوعة وشوق.

والتأمل لباعث الخطاب هنا؛ يجد أن الشاعر قد استأنس بالحمامة؛ حينما رآها
وهي تغرد على غصن الشجرة؛ فهيجت ما في قلبه من مشاعر الحب، وأحاسيس
الشوق المدفونة في قلبه؛ فأخذ في كشف مشاعره وأحاسيسه، وذكر ما يعانيه من
العشق والشوق لهذه الحمامة، وهو شيء لم يكن يذكره لأحد ولا يبوح به لبشر.

وفي هذا دلالة على أن الشاعر لم يكن يأنس إلا لهذه الحمامة؛ لما رأى من كونها
تشاركه حالة الحب والعشق الذي يعيشه ويكابده؛ حينما أخذت على غصنها تُنادي
بهديلها وتشدو.

ومن أمثلة مخاطبة الطير للأنس به ومشاركته حاله: ما قاله عبد الله بن طاهر^(١):

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| فجرت سوابقُ دمعي المهراقِ | ناحتْ مطوّقةً باب الطاقِ |
| كانت تُغرّدُ في فروع الساقِ | كانت تُغرّدُ بالأراكِ وربّما |
| إنّ الدموعَ تبوحُ بالأشواقِ | فُجعتُ بأفراخِ فأسبلَ دمُعها |
| وسقاه من سمِّ الأسودِ ساقِي | تعبسَ الفراقُ وبتَّ حلّ متينه |

(١) ثمرات الأوراق، لابن حجّة الحموي، ج ١، ص ١٩٨.

ماذا أراد بقصده قمريّةً لم تدرِ ما بغدادُ في الآفاقِ

بي مثل ما بك يا حمامةُ فاسألي من فكّ أسركِ أن يحلّ وثاقي

تُشير الأبيات السابقة إلى أنه كان في بغداد محلّة تُسمّى: باب الطاق، وكان بها مسوق الطير، وزعموا: أنّ من عسر عليه أمرٌ؛ أطلق طيراً فتيسرّ أمره، ومر عبد الله بن طاهر الخراساني بهذا السوق، وقد طال مكثه في بغداد، ولم يأذن له الخليفة بالذهاب، وعند مروره بالسوق؛ رأى قمريّة تفوح فأمر بشرائها؛ فامتنع صاحبها؛ فدفع له بها خمسمائة درهم؛ فأخذها وأطلقها في ذلك السوق، وأنشد هذه القصيدة السابقة.

وقد صورّ الشاعر سماعه نوح الحمامة في السوق؛ فبكى بكاءً شديداً، وأخذت دموعه تسيل على خديه؛ لأنه رأى في بكائها أنساً له؛ فهي محبوسة في قفص، ممنوعة من الطيران، وهو يرى فيها حاله؛ حينما أراد الذهاب إلى خراسان؛ فمنعه الخليفة ولم يأذن له، ثم أخذ الشاعر يحكي حاله مما فقد من بقاءه في بغداد، ويُحاكيه بحال هذه المطوّقة المحبوسة في القفص، يقول: إن هذا الطائر كان حراً فوق الأغصان في سرور، ثم حُبس فأصبح تغريده في السوق وهو محبوس، نوحاً على ما فقده من أفراخ، وهي في نوحها تُبدي مشاعرها وشوقها إلى أفراخها وأسراها.

ثم أخذ يشكو حالة الفراق ويدعو عليها بالتعاسة؛ كيف أنما جعلته يُكابد الشوق والحنين لموطنه وأحبابه، واستمر في مخاطبتها متسائلاً:

ماذا أراد من قصد وقطع الطريق بمنعه هذه القمرية عن أحبابها، وحبسها في هذا البلد "بغداد" وقال حينما أطلقها بعد شرائها مخاطباً لها: بي مثل ما بك من الشوق

والحنين والفقد أيتها الحمامة؛ فاسألي وادعي "الله" الذي فك وثاقك: أن يفك وثاقي
وأعود إلى خراسان موطن أحبائي.

وقد قيل: إنه في ثاني يوم أُطلق ورجع إلى بلاده.

والمُدقُّ في الحالة النفسية لدى الشاعر؛ تتضح له الحالة الشعورية التي حكمت
لغة الخطاب في الأبيات السابقة؛ إذ أن الشاعر عندما سمع نوح الحمامة؛ ذكره حالها
بما لم يُظهره لأحد؛ فاستأنس لوجود من يشاركه أحزانه، وحالة الحبس لدى الطير في
القفس كما له حينما حُبس عن الذهاب إلى أهله في خراسان، وحالة الحبس للطير مع
نوحه وهو بداخل القفس؛ أثارت الشجون، وجددت الوجد وهيجت الجوى لدى
الشاعر؛ فشعر بالأنس لمن يشاركه حالة الحبس، وما ترتب عليه من فقد وشوق ولهفة
إلى الانطلاق ولقاء من يحب.

وإن الحالة العاطفية للشاعر، قد برزت وتجلت في دفع مالٍ قلّ وندر أن يُدفع في
شراء طيرٍ؛ لأجل أن يُطلق سراحها لتنتهي مكابقتها ومعاناتها؛ لعله يُجازى بما يُنهي ما
يُكابده هو ويعانيه.

لقد كان صوت الحمام مُحركاً العواطف، ومؤنساً للقلب؛ حتى أفاض الشاعر
في وصف حاله وشعر بأنه به مثل ما به؛ فدعاه ذلك إلى شراءه بثمن غالٍ؛ من أجل
أن يُطلقه؛ لعله يُطلق هو كذلك وهذا يصف الحالة النفسية المتمثلة في حالة التطابق
لدى الشاعر وما يُعانيه من حبسه ومنعه عن الذهاب إلى أهله. ويذهب إلى أهله؛
فكان ما أراد.

ومن أمثلة مخاطبة الطير استثناساً به: ما قاله ابن شهيد الأندلسي^(١):

وقلتُ لصدّاحِ الحمامِ وقد بكى
ألا أيُّها الباكي على من تُحِبُّه
وهل أنت دانٍ من مُحبٍ نأى به
فصَفَّقَ مِنْ يَعرشِ الجَناحِينِ واقِفاً
وما زال يبكي وأبكيه جاهداً
إلى أن تبكي الجدرانُ من طولِ

على القصدِ إلفاً والدموعُ تجودُ
كلانا مُعنى بالخلاءِ فريدُ
عن الإلفِ سلطانٌ عليه شديدُ
على القربِ حتّى ما عليه مزيدُ
وللشوقِ من دونِ الضُّلوعِ وقودُ
وأجهسُ بابِ جانباهِ حديدُ

يخاطب الحمام الذي رآه يغرد بصوت جميل ومطرب وعالٍ واقفاً على القصر الذي حُبس فيه الشاعر بقوله: أيها الحمام إن كنت تبكي على من تُحبه على من تُحبه؛ فإننا شريكان في هذا المصاب فأنا أبكي على من فقدتُ من أحبابي بجبسي وبُعدي عنهم كما هو حالك، ثم أخذ يسأل هذا الطير، وهو في حال الضعف والانكسار هل ستتقرب مني وتؤنسني وتُشاركني أحزاني وهمومي؛ فأنا مُحبٍ أبعد بي عن أحبابي، وما كنت أُلّف من حياة الرغد والفرح؛ سلطانٌ وحاكم قد قسا عليّ وأودعني السجن.

فاستجابت الحمامة له؛ وقد اقتربت منه وأخذت تبكي بجواره وتشاركه حال البكاء والغربة؛ حتى امتزجت دموعهما معاً، وأخذ يبكي مع بكاءها بكاءً طويلاً

(١) ديوان ابن شهيد الأندلسي، ص ١٣.

وشديداً لما يُحس به من الشوق والوحشة في سجنه الذي هو فيه؛ حتى لقد أحس بأن كل ما حوله في السجن يبكي معه حتى الجدران المحيطة به.

وتتبين الحالة النفسية والشعورية لدى الشاعر في أشد حالاتها، ويظهر انفعاله مع صوت الحمامة صادقاً وعميقاً، ومؤثراً في شكوى ألم السجن من خلال ما يستخدمه من خطاب معبر، وتراكيب وصور ناطقة بمعاني الحزن والألم، انبعثت من مشاعر نفسه البائسة والحزينة؛ إذ نجد البكاء ماثلاً في الوجود ومن حوله، متفاعلاً مع شعوره، مواسياً له في أحزانه، وهذا غاية ما يطلبه الشاعر الحزين ويتخيله؛ أن يشترك معه الكون في أحزانه.

المبحث الثالث

سِمَاتُ الْخِطَابِ

أ) الصور الفنية:

تُمثّل الصورة عنصراً فنياً مهماً في الشعر، بل تعد سمة من سِمَات العمل الأدبي، وركيزة أساسية من ركائز بناء القصيدة الشعرية، فلا يخلو الشعر من الصورة، وإذا افتقد النص الشعري إلى الصور؛ فإنه يتحوّل على جاف وبارد لا تحقق معه المتعة الجمالية التي تُمثل هدفاً أساسياً للشعر؛ فالصورة الفنية للقصيدة هي جوهر البناء فيها، ودلالة من أدلة براعة الشاعر في استخدام مفردات اللغة وتراكيبها المختلفة^(١).

إن الشاعر الأصيل هو الذي «يتوسل بالصورة ليعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يتفهمها ويجسدها بدون الصورة. وبهذا الفهم لا تُصبح الصورة شيئاً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه أو حذفه، وإنما تُصبح وسيلة حتمية لإدراك نوع مُتميّز من الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه، أو توصيله، وتُصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمُبدع قرينة الكشف، والتعرف على جوانب خفية من التجربة الإنسانية»^(٢).

(١) انظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٢م، ص ٨ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٨٣.

وقد اهتم النقاد القدماء والمحدثون بالصورة في العمل الأدبي، وأولوه جُلَّ عنايةهم؛ فهذا الجاحظ وهو من أوّل النقاد العرق القدماء، الذين التفتوا إلى الصورة ومهمتها الجمالية.

حيث يقول الجاحظ:

« فإني الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير»^(١) وتابعه الإمام عبد القاهر الجرجاني في ذلك فقال: « ومعلوم أن سبيل الكلام التصوير والصبغة، وأنه سبيل المعنى الذي يُعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يُصاغ منها خاتم أو سوار»^(٢).

كما تحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن التصوير؛ فبسط القول في الصورة مفهوماً واصطلاحاً، حيث قال:

« واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان تبيين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبيين: خاتم من خاتم وسوار من

(١) الحيوان، للجاحظ، ص ١٣٢، تحقيق: عبد السلام هارون، شركة ومكتبة: مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

(٢) دلائل الإعجاز، للجرجاني، شرحه وعلق عليه: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ١٩٧.

سيوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه وبين الآخر بينونة في عقولنا وفروقاً؛ عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك»^(١).

فالصورة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ليست إلا الميزان للشيء عن غيره، وقد تكون في الشكل، وقد تكون في المضمون؛ لأن الصورة مستوعبة لهما، والنظر لأحدهما لا بد أن تنعكس على الآخر، ولا يمكن الفصل بينهما^(٢).

وهكذا فإن الإمام عبد القاهر الجرجاني أول من أعطى للصورة دلالة اصطلاحية، وهي تعني لديه: الفروق المميزة بين معنى ومعنى.

فالصورة لبنة أساسية من لبنات تكوين الشعر الجميل وتشكيله، تزامن وجودها مع وجود الشعر في عصوره المتعاقبة، ولا يكاد المتلقي يتفاعل مع قصيدة شعرية تخلو من شكل من أشكال الصورة، ولكن استخدام الصورة يختلف من شاعر لآخر.

والصورة الفنية: تتعلق بالتجربة الشعورية لدى الشاعر من حيث الشكل في الصياغة والأسلوب، واستخدام الألفاظ، ومن حيث المضمون في صدق التجربة والمشاعر ومدى تأثيرها في المتلقي والمستمع لها.

(١) دلائل الإعجاز، للجرجاني، شرحه وعلق عليه: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١،

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ٥١٨.

(٢) الصورة الفنية في شعر الشماخ، محمد علي ذياب، وزارة الثقافة، عمان، د ط، ٢٠٠٣م، ص ١٥.

فالشاعر لا يستطيع أن يكون بمنأى عن الصورة الفنيّة عن إلقائه لأيّ قصيدة؛
لأنها جوهر العمل الشعري وأساسه، فهي جزء مهم في الإبداع الشعري.
والشعراء في مخاطبتهم الطير ومناجاتهم له؛ أبرزت قصائدهم صوراً متنوعة،
ومشاهد مختلفة، وقوالب متعددة؛ تبعاً لاختلاف الطير.

١ - فالحمامة:

اقتربت بمشاهد الحزن والبكاء وخاصة تلك المتعلقة بالفقد والحرمان؛ فقدان
الحبوبة بارتحالها، أو زواجها أو غير ذلك.
ومن الشعراء من يرى في غنائها ما يُسرّي عنه الهموم والأحزان، وربما كانت
الدليل على نُقيا الحبيبة، أو بشارة بليقائها بعد ارتحالها.
وكلا النظرتين مرتبطتان بالحالة الشعورية، والجوّ النفسي الذي يشيع في أبيات
الشاعر؛ لأن الشاعر هو الذي يُوجه شدو الحمامة حسب ما في نفسه، وما يجيش في
قلبه؛ وإلاّ فمن يعلم أشدو الحمامة فرح أم ترح؟

ولعلّ أوّل من أثار هذا التساؤل أبو العلاء المعرّي عندما قال:

أَبْكَتْ تِلْكَمُ الْحَمَامَةُ أُمَّ غَنٍّ تَ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمِيَادِ

إذ أنه لم يجزم ولم يفسر صوت الحمامة، وإنما كان متأملاً منصتاً متسائلاً مختاراً
في تصنيف صوتها الجميل، وظل يُراوح بين من يراه غناءً يُسرّي عنه، ومنهم من يراه
مبعث شجونه.

يقول ابن الدمينة^(١):

ألا قاتل الله الحمامة غدوةً على الغصن ماذا هيَّجت حين غنت؟
تغنَّت بصوتٍ أعجميٍّ وهيَّجتُ جواي الذي كانت ضلوعي أجنتِ

فالشاعر يرى في هديل الحمامة وشدوها: غناءً يترنم به على الأغصان.

ويقول أسامة بن منقذ^(٢):

وهاج لي الشوق القديم حمامةً على غصنٍ في غيضة ترئم
دعت شجوها محزونةً لم تفض لها دموعٌ ففاضت أدمعي مزجها دم
فقلت لها: إن كنتِ (خنساء) لوعةً ووجداً فإني في البكاء (متمم)

وفيما سبق من الأبيات نجد أن الشاعر: أسامة بن منقذ يخبر أنه حينما سمع صوت الحمامة رأى في صوتها بكاءً لمن فقدته فبعث ذلك عليه أشجانه وحرك أشواقه، وأخذ يبادلها البكاء ويخاطبها بقوله: بأنها ليست في حالٍ أشد من حاله..، وأنها إن كانت ففي الفقد كالخنساء عندما فقدت أختها صخرًا؛ فهو كمتمم بن نويرة حينما فقد أختها؛ فأخذ يرثيه فالحالة التي يعيشها الشاعر هي التي تترجم وتبين عن سجع الحمامة أنوح أم غناء لأنه يُريد أن يسقط هذه الحالة على هذا الصوت الذي أنس بسماعه وهو «هديل الحمامة».

(١) ديوان ابن الدمينة، ص ١٣٢.

(٢) ديوان أسامة بن منقذ، ص ١٤٩.

ظهر للبحث الحالي:

أن أكثر الشعراء في مخاطبتهم الحمامة ومناجاتهم لها، وبكائهم عند سماع شجوها وهديلها؛ كان سببه:

ما يقوم به هديل الحمامة من تهيج نفسية الشاعر وإيقاظ ما يعانيه من حزن وفراق، ومؤازرة لجو الحزن المسيطر على قلبه، فهو - وإن بكى - لسماع هديلها فهو يستأنس به؛ لأنه يرى فيه المؤازر الصادق لما يشعر به.

وقد يرى في الحمامة وفاءً عندما تفقد من تُحب فتظل تبكيه، فهي تحفظ له الوداد، وفي هذا المعنى يقول أبو العلاء المعري^(١):

أَبْنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْعِدْنَ نَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالْإِسْعَادِ
إِيَّاهِ لِلَّهِ دَرَكُنَّ فَاثْنَنَّ اللَّوَاتِي تُحْسِنَنَّ حِفْظَ الْوَدَادِ

ومما رصده البحث الحالي؛ ارتباط مخاطبة الحمامة بفراق الأوطان والحنين إليها، ومن أمثلة ذلك؛ ما قاله الشاعر عوف بن محلم الخزاعي سمع مرة نوح حمامة على غصنها فقال^(٢):

وَأَرْقِنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فُنَحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الْغَرِيبُ يُنْوَحُ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذَرِ دَمْعَةً وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدَّمُوعِ سُفُوحُ
وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاهَا بَجِيثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامَةٌ فَيَحُ

(١) ديوان أبي العلاء المعري، ص ٢٠٧.

(٢) كتاب شعراء عباسيون، ص ١٣٩.

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْلِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مِيَادُ فَنِيمِ تَنُوحٍ؟

صوّر الشاعر كيف أن نوح الحمامة قد هيّج مشاعر الشوق في نفسه وهو بعيد عن أهله ووطنه، فأضناه الحنين.

غير أنه يُنكر على الحمامة بكاءها ونوحها؛ لأنها تنوح وتبكي بغير دموع، أمّا هو فعيناه تجريان بالدمع، فخطبها وسألها: كيف لها أن تنوح وفراخها معها وعيشها رغيد، تُغني وهي مأمّن في مكائها على غصنها، ومن تألف وتحب حاضر عندها.

تراهم، وهو بينه وبين أولاده بلاد واسعة وأرض نائية، ثم أخذ الشاعر معاتبه الحمامة بقوله: من تحبين وتألّفين غير غائبين عنك، وغصنك مياد يهتر بك ففيم تنوحين؟

فالشاعر يرى أنه أصدق عاطفة في بكائه من الحمامة التي تنوح وهي في عيش رغيد، لا تفقد حبيباً ولا أليفاً، بل هي غير صادقة في نوحها.

وشدة حنين الشاعر لوطنه وأهله تتضح لنا من خلال الأبيات السابقة ترمي شدة شوقه وحنينه قوله: «وأرقني» أبعده عني النوم والراحة سماع نوح الحمامة فهيج ما في قلبه من الشوق والحنين، ترى ذلك في نوحه وحُزنه على من فقد من أهله وأولاده وأحبابه وهو ما وجدته حاضراً لدى هذه الحمامة التي تنوح نوحاً غير صادق من فراق أهله وأولاده، وعدم إلفه للمكان الذي هو فيه بل يألف الموطن الذي فيه أحبابه.

ومثل الصورة السابقة قول أبي فراس الحمداني^(١):

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي؟
مَعَاذَ الْهُوَى مَا ذُقْتُ طَارِقَةَ النَّوَى وَلَا خَطَرَتْ مِنْكَ الْهُمُومِ بِيَالِ
أَيُضْحِكُ مَأْسُورٌ، وَتَبْكِي طَلِيقَةٌ وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ، وَيَنْدُبُ سَالِ؟

إذ أن الشاعر هنا يُنكر نوح الحمامة، ويرفض حزنها، وأخذ في معاتبته؛ لأنها تنوح وهي متمتعة بالحرية، ويعجب من حالته التي جعلته يضحك وهو الأسير المكبل بالأغلال، المغترب عن وطنه وأمه وأهله الواقع في أسر الروم حين كان يُقاتلهم دفاعاً عن وطنه وبلده.

فهو يرى أن نوح هذه الحمامة غير صادقة فيه؛ لأنها تنوح وتبكي وهي: تنعم بنعمة الحرية والتي يتفقدوها الشاعر، وهو مع هذه المعاتبة للحمامة ومقارنته الفارقة بين حاله وحالها، وهو في قيده بأغلال الأسر والنأي عن الوطن بعدما كان حراً طليقاً إلا أنه كان صابراً مُتجلداً أمام نوائب الدهر وصروفه. بل حمل نفسه على الصمت وعدم البكاء بل والضحك في بعض الحالات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن غرض الرثاء من أهم الأغراض الشعرية، وهو موطن العاطفة الحزينة، والشاعر عندما يسمع نوح الحمامة وهو في حزنه لفقد أحبابه؛ يبدأ قصيدته بمخاطبتها؛ لطغيان عواطفه وأحزانه الذي ثار في نفسه لسماعه نوحها.

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ٢١١-٢١٢.

وأصدق الرثاء ما كان في فقد الأقباء؛ لأن بفقد الأقباء يُجرح القلب،
وتنكسر النفس ويُصبح الإنسان تعجّ روحه حُزناً ويأساً.

أسامة بن منقذ، شاعر فقد أهله وقربته كلهم في زلزال أصاب موطنه؛ فمات
جميع أقاربه، فعظمت عليه المصيبة، واشتدّ الخطب، وأخذ يرثيهم بقصائد متعددة،
وكان ممّا رثاهم به هذه الأبيات، خاطب بها حمّامة ناحت على أحد الأغصان^(١):

| | |
|----------------------------------------------------|------------------------------------------------|
| حَمَائِمَ الْأَيْكِ هَيَّجْتُنَّ أَشْجَانَا | فَلْيَيْكَ أَصْدُقْنَا بَثًّا وَأَشْجَانَا |
| كَمْ ذَا الْحَيْنِ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ أَمَا | أَفَادُكُنَّ قَدِيمُ الْعَهْدِ نَسِيَانَا |
| هَلْ ذَا الْعَوِيلِ عَلَى غَيْرِ الْمَدِيلِ وَهَلْ | فَقِيدُكُنَّ أَعَزُّ الْخَلْقِ فَقْدَانَا |
| مَا وَجَدُ صَادِحَةٍ فِي كُلِّ شَارِقَةٍ | تُرْجِّعُ النَّوْحَ فِي الْأَفْنَانِ الْخَانَا |
| كَمَا وَجَدْتُ عَلَى قَوْمِي تَخَوُّتَهُمْ | رَيْبُ الْمَنُونِ وَدَهْرٌ طَالَ مَا خَانَا |

فمع علمه بحُزن الحمام وهو على الأغصان ينوح؛ إلا أنّه خاطبه بمناجاة تُبيّن لنا
أن شعور الحزن لدى الشاعر أشدّ من نوح الحمام على هديلها، ويُظهر صورة المفاضلة
في شدة الحُزن بقوله: فَلْيَيْكَ أَصْدُقْنَا بَثًّا وَأَشْجَانَا.

ثم إنه يُسائل هذا الحمام:

ألم ينسكم تقادم الزمان هذا الحزن؟، هل من تبكون عليه أعز الخلق.

يستفهم من شدة تفجّعه بفراق أقاربه، وهو مع ذا يُقرر في هذا الاستفهام أن
من فقدهم الشاعر، وأخذ في رثائهم لا يُنسيه مرّ الأيام والسنين حزّهم وهم من أعزّ

(١) ديوان أسامة بن منقذ، ص ٣٥٦.

من يفقد من الناس والخلق.

ثم يجتتم بما تحقق في إحساسه بعظيم الحزن والأسى على من فُجع بموتهم بقوله:
أن حزنكنّ أيتها الحمائم ونوحكنّ على الأغصان، ليس كحزني ووجدي على من
فقدتُ، حين حلّ بهم هذا المصاب الجلل والذي أودى بهم جميعاً والذي جعل قلبي
منكسراً، وعيني منها الدمع منهماً، ولساني بالقصائد راثياً.

وقد تأتي صورة الطير في مخاطبة الشعراء له: «صورة رسول» يُحمّله الشاعر
رسالة شوق للحبيب، وفي هذه الرسالة يبثّ الشاعر أحاسيسه ووجدته، وما يُعانيه من
شوق.

فقد رأى قيس بن الملوّح طائراً يُحلق في السماء؛ فقال مخاطباً له^(١):

| | |
|-------------------------------------------------|-----------------------------------------------|
| أَلَا أَيُّهَا الطَّيْرُ المُحَلِّقُ غَادِيَا | تَحْمَلُ سَلَامِي لَا تَذَرْنِي مُنَادِيَا |
| تَحْمَلْ - هَدَاكَ اللَّهُ - مِنِّي رِسَالَةً | إِلَى بَلَدٍ إِنْ كُنْتَ بِالْأَرْضِ هَادِيَا |
| إِلَى قَفْزَةٍ مِنْ نَحْوِ لَيْلَى مُضِلَّةٍ | بِهَا الْقَلْبُ مِنِّي مُوثِقٌ وَفُؤْدِيَا |
| أَلَا لَيْتَ يَوْمًا حَلَّ بِي مِنْ فِرَاقِكُمْ | تَزَوَّدْتُ ذَاكَ الْيَوْمَ آخِرَ زَادِيَا |

يُخاطب الشاعر الطير ويُناديه أيها الطائر المحلق في الصباح الباكر، احمل معك
رسالة منّي إلى بلد ليلي، أبلغها سلامي، وشوقي لرؤيتها قل لها:

ليتني يوم فراقكم عنّي ورحيلكم تزوّدت منك آخر زادٍ لي فإن الموت وفراق

(١) ديوان مجنون ليلي، شرح عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ص ٢٣٨.

هذه الحياة أخف عليّ من بعدك عني.

ويقول الشريف الرضي^(١):

يَا طَائِرَ الْبَانِ غَرِيْدًا عَلَيَّ فَنَنْ
مَا هَاجَ نَوْحُكَ لِي يَا طَائِرَ الْبَانِ
هَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ مِنْ هَامِ الْفُؤَادِ بِهِ
إِنَّ الطَّيْلِقَ يُؤَدِّي حَاجَةَ الْعَانِي

في البيتين يخاطب الشاعر الطير ويخبره بإعجابه بصوته وتغريده وترنيمه على الغصن، ويطلب منه الاستمرار في التغريد، فلقد هاج ما بي من شوق ولوعة لرؤية من قد أحببتها ثم أخذ في سؤال الطير، هل تحمل مني رسالة إلى من هام الفؤاد بحبه والشوق لرؤيته، ثم رسم لنا صورة في غاية الجمال بقوله: إِنَّ الطَّيْلِقَ يُؤَدِّي حَاجَةَ الْعَانِي أَنْتَ أَيُّهَا الطَّيْرُ طَلِيْقٌ فِي الْهَوَاءِ، لَا يَجْزُكَ شَيْءٌ عَنِ رُؤْيَا مِنْ تُحِبُّ؛ فَأَدِّي لِي حَاجَتِي وَرِسَالَتِي؛ فَإِنِّي أَنَا الْعَانِي الْأَسِيرُ بِحَبِّ مَنْ أَرْضَهُ لَيْسَتْ بِأَرْضِي.

ويقول عنتره^(٢):

ناشدتك الله يا طير الحمام إذا
رأيت يوماً حمول القوم فالغاني

يُحْمَلُ الشَّاعِرُ طَيْرَ الْحَمَامِ رِسَالَةَ وَيَقُولُ لَهُ:

إذا رأيت هودج المحبوبة وهي سائرة مع قومها، نشدتك الله أن تُبلِّغها أشواقي وأحزاني ولوعي من فراقها، حباً وعشقاً وشوقاً.

(١) ديوان الشريف الرضي، ص ٣٣٧.

(٢) ديوان عنتره بن شداد، ص ١٧٩.

٢- الغراب وصورة الفراق:

إنَّ طائر الغراب لا يقل شأنًا عن طائر الحمام في مخاطبة الشعراء له، فهو من أهم الطيور وأكثرها - بعد الحمامة - ذكراً في مناجاة الشعراء؛ لأنه يعدّ - في نظرهم - طائراً قبيحاً يُوحى بالشؤم، ويُنبئ بفرقة الأحبة.

ويُعدّ الفراق من أهم الصور والموضوعات التي تناولها الشعراء الذين عانوا من لوعة الفراق لمن أحبوه.

وقد ارتبط الفراق ارتباطاً وثيقاً بمخاطبة الغراب؛ إذ كان يُعتقد أنّ الغراب سبب في تفريق الأحبة ورؤيته تُنبئ بالموت والبوار والخراب؛ لذلك أطلقوا عليه اسم غراب البين.

وقد تطيّر بعض الشعراء من صوت الغراب، كما تطيروا من سواده، ويُثير صوت الغراب فيهم الخوف والهم، وحالات الشؤم، وينذرهم بالقادم المشؤوم، و كان له دوراً بارزاً في التعبير عن الحالة النفسية لديهم؛ لم يحمله من دلالات تشاؤمية.

ومن هؤلاء الشعراء عنتره^(١):

يقول عنتره:

ظَعَنَ الَّذِينَ فِرَاقَهُمْ أَتَوَقَّعُ
وَجَرَى بَيْنِهِمُ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ
حَرِقُ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لِحْيِي رَأْسَهُ
جَلَمَانُ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مَوْلَعُ

(١) ديوان عنتره بن شدّاد، ص ٥٧.

فَزَجْرْتُهُ أَلَا يُفَرِّخَ عَشُّهُ أبدأ وَيُصْبِحَ وَحِداً يَتَفَجَّعُ

إِنَّ الَّذِينَ نَعَيْتَ لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْهَرُوا لَيْلِي التَّمَامَ فَأَوْجَعُوا

فَعَنْتَرَةُ يُصَوِّرُهُ بِهَيْئَةِ بَشْعَةٍ وَمَنْظَرِ كَرِيهِ، فَهُوَ مَنْسُولُ الرِّيشِ، لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا الْإِنْذَارُ

بِالْأَحْزَانِ وَتَفْرِيقِ الْأَحْبَةِ: فيقول:

أَوْ تَحِلُّ الَّذِينَ كُنْتُ أَتَوَقَّعُ فِرَاقَهُمْ؛ فَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ أَنْذَرُهُ بِرَحِيلِ أَحِبَابِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا
الطَّائِرَ مَوْلِعٌ بِتَفْرِيقِ الْأَحْبَةِ، وَكَأَنَّ فَكِّيهِ مَقْصُودٌ يَقْطَعُ الْأَوَاصِرَ فَيُزَجِرُ عَنْتَرَةَ هَذَا الْغُرَابِ،
وَدَعَا عَلَيْهِ بِقَطِيعَةِ النَّسْلِ فَلَا يُفَرِّخُ عَشُّهُ، وَبِأَنَّ بَيْقِيَّ وَحِيداً يَنْدُبُ الْأَهْلَ وَالْأَقْرَابَ.

ثُمَّ خَاطَبَهُ عَنْتَرَةَ بِقَوْلِهِ: أَنْتَ السَّبَبُ فِي بَعْدِي عَنِ مَنْ أَحَبُّ، فَالْغُرَابُ بِنَعِيقِهِ
كَانَ سَبَبَ الْفِرَاقِ الَّذِي أَسْهَرَ عَنْتَرَةَ.

وَيَقُولُ قَيْسُ بْنُ ذُرَيْحٍ^(١):

وَطَارَ غُرَابُ الْبَيْنِ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا بَيْنِ كَمَا شَقَّ الْأَدِيمَ الصَّوَالِغُ

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طَرْتُ بِالَّذِي أَحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ؟

وَهُنَا نَرَى الشَّاعِرَ أَنَّ قَوْمَهُ خَالَفُوهُ، وَشَدَّوْا رِحَالَهُمْ رَاغِبِينَ وَمَعَهُمْ لُبْنَى، وَنَسَبَ
ذَلِكَ لِلْغُرَابِ لَمَّا رَأَى الْغُرَابَ قَدْ لَاقَى لَهُ فَتَشَاءَمَ بِرُؤْيَتِهِ، ثُمَّ أَخَذَ يَخَاطِبُهُ بِأَنَّهُ السَّبَبُ فِي
فِرَاقِ لُبْنَى، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ لِي بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ أَحْشَاءِهِ، أَوْ مَصِيبَةٍ أَتَوَقَّأَهَا، فَبَعْدَ لُبْنَى
كُلِّ شَيْءٍ يَهُونُ، وَمَصِيبَتِي فِي فِرَاقِهَا تُهَوِّنُ كُلَّ مَصِيبَةٍ وَقَلْبِي بَعْدَهَا لَا يَرَى شِراً سِوَاهُ.

(١) ديوان قيس بن ذريح، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ٨٧.

ويقول قيس بن الملوّح^(١):

أقول وقد صاح ابن رأيه غدوة بُعِدِ النوى لا أخطأتك الشبائك
أفي كل يوم رائعي أنت روعة بينونة الأحباب إلفك فارك
يخاطب الشاعر: ابن دأية - وهو الغراب - بعدما صاح صباحاً بفراق
الأحباب، لا أخطأتك أيها الغراب شبك الصياد، أفي كل يوم تأتيني؛ لتخيفني بابتعاد
الأحباب؛ فليفارقك إلفك ويُغضك يدعو عليه أن يغيظه من يألفه الغراب وتفارقه؛
جزء ما كان سبباً في فراق الشاعر لأحبابه.

وبما أن الغراب يُنبئ ويأتي بالفراق برحيل الأحبة من مكان لآخر، فإنه قد يكون
نذير برحيلهم الأبدى «موثم».

فها هو عنتره يذكر غراب البين في رثائه: مالك بن زهير العبسي، الذي قتله بنو
بدر، ويسأله إن كان قد علم بوفاة مالك. حيث يقول^(٢):

ألا يا غرابَ البينِ في الطيرانِ أعربي جناحاً قد عَدِمْتُ بنياني
تُرى هل عَلِمْتَ اليومَ مَقْتَلَ مالِكِ وَمَصْرَعَهُ في ذِلَّةٍ وَهَوَانِ
فإن كانَ حَقًّا فَالنُّجُومُ لِفَقْدِهِ تَغيبُ وَيَهوي بَعْدَهُ القَمَرانِ

يظهر في الأبيات السابقة جزع وحزن عنتره لفراق مالك العبسي بموته فجعل
الشاعر شؤم هذا الفراق في صورة غراب البين.

(١) ديوان قيس بن الملوّح، شرح عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ص ١٦٥.

(٢) ديوان عنتره، ص ٢٥٠.

وهل هناك من هو أشأم من غراب البين يُنبئ بفراق الأحبة وبعدهم، لذلك
خاطبه، وجعل مخاطبته مدخلاً لقصيدته.

وتخاطب حولة بنت الأزور الكندية الغراب في شعرها، ولكن بصورة مختلفة
فهي على يقين أنه سبب في الفراق؛ لذلك تستفسر منه عن موعد رجوع الغائبين،
فتقول^(١):

ألا مخبرٌ بعدَ الفراقِ يجبرنا فَمَنْ ذا الَّذي يا قوم أشغلكم عَنَّا
فلو كنت أدري أَنه آخر اللقا لَكُنَّا وَقَفْنَا للوَادِعِ وَوَدَّعْنَا
ألا يا غراب البين هل أنت مُخبري فَهَلِ بِقَدُومِ الغَائِبِينَ تبشِّرنا

فهي حزينة لفراق أخيها ضرار بن الأزور، ولكنها على يقين أنه سيتحرر من
الأسر في يوم من الأيام.

فراَت في الغراب كما أَنه سبب في الفراق؛ لعله يكون مُبشِّراً باللقاء؛ فلذلك
سألت.

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، لبشير يموت، الناشر: دار القلم العربي، ص ١٧٢.

من خلال عرض القصائد التي خاطب فيها الشعراء الحمام؛ نجد أنها جاءت في صور الحزن، ومواقف الأسي.

فحين يشكو الشاعر بعد المحبوب، واللوعة لرؤياه، ووصف الحنين والشوق له؛ رأيناه يخاطب الحمام، ويستعين بنوحه في تصوير حُزنه ووجده، وحين يُفجع الشاعر بأحبابه؛ نجده يذكر الحمام في رثائه، ويُصوّر حزنه وبكائه في نوح الحمام.

وقد اقتصرنا على ذكر الصور الفنية المتعلقة بطائر الحمام ونوحه، لاندرج بعض الطيور وصورها وسبب مخاطبتها في صور طائر الحمام مثل: القمري، والقطا.

ومن خلال عرض القصائد التي خاطب فيها الشعراء الغراب؛ نجد ارتباطاً كبيراً في مخاطبتهم لها: بصورة الفراق، والبعد عن الأحبة: بُعد إلى أمد، أو بُعد إلى أبد ولم يقتصر هذا الارتباط على صورة الفراق والرحيل فحسب، بل تعداه إلى الرثاء.

وقد اقتصرنا على ذكر الصور الفنية المتعلقة بطائر الغراب ونعيبه، لاندرج بعض الطيور وصورها وسبب مخاطبة الشعراء لها في صور الغراب؛ مثل: البوم، والصُّرْد.

ب- الظواهر الأسلوبية:

تأتي القصيدة إثر انفعال صادق في نفس الشاعر، وتكون في صورة ألفاظ وأساليب؛ فالأسلوب صورة مرئية للشعور الداخلي والانفعال الصادق لدى الشاعر.

الأسلوب هو: طريقة التعبير عن عناصر النصّ الشعري؛ لتكوين الوحدة العضوية^(١).

فبالأسلوب هو طريقة الشاعر في نقل مشاعره وأحاسيسه بصورة لغوية في شعره، والشعور الصادق المتدفق يستطيع أن يصل إلى حواس المتلقي للاستجابة لهذا الأسلوب.

ومن خلال قصائد الشعراء التي خاطبوا فيها الطير؛ تجد أنهم قد اهتموا بظاهرتين من الظواهر الأسلوبية، وتكاد تتكرر في كل هذه القصائد؛ ألا وهما: أسلوب النداء - وأسلوب الاستفهام.

١ - أسلوب النداء:

وهو من الأساليب الطلبية، ووسيلة مهمة من الوسائل البلاغية، والنحوية التي لها وقعها الخاص في النصوص الشعرية من حيث الصياغة وسبك العبارة، ودلالة الألفاظ ومعانيها.

ويُسهم هذا الأسلوب في بناء القصيدة، والتي هي بمثابة مفتاح جديد لموضوع جديد.

ويُعد النداء ركيزة أساسية في معظم مواقف مخاطبة الطير، وأحد الظواهر الأسلوبية المهمة في نسج هذا الموقف في بناء القصيدة.

(١) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، ص ٣١.

والنداء قد وُظف في صور، وألوان متعددة في مخاطبة الشعراء للطير، ورغم أن الاستهلال، والافتتاح بالنداء يُعدّ أمراً طبيعياً، في موقف يُبنى على الخطاب، والتحاور في بعض المواقف إلا أنّ جملة النداء مع السياق الذي ترد فيه كثيراً ما تُشعرنا بالأجواء التي تُحيط بالكلام القادم، وتُلقي في المسامع أطيافاً من الطرب، أو الشجن، الغناء أو البكاء، وتُقرّب إلى الأذهان ذلك الصوت الذي همس به ذلك الموقف.

ولا تنحصر الأجواء الخاصة بالنداء عند المعنى الشائع له، أو القريب للمفهوم اللغوي (طلب إقبال المدعو) في صورة مجردة.

لأنّ مخاطبة الطير تتضمن مناجاةً ومحادثةً؛ وبالتالي لا يمكن أن تخلو هذه المناجاة والمحادثة من استخدام النداء للطرف الآخر.

فالنداء في صورته الحقيقية أو المجازية هو جزء لا ينفصل من الخطاب أو المحادثة؛ إيقاظاً للحس، أو لأهميّة ما سيلقى، أو استشعاراً بمعنى: التواصل، أو إيناساً بالمنادى، وغير ذلك.

وقبل كلّ هذا يأتي النداء للطير نابعا من الطبع الإنساني الذي تمارسه في حياتنا في أشكال وصور ومواقف عدّة عندما نُخاطب إنساناً آخر أو كائناً من المخلوقات.

فالنداء للمخاطب هو تجسيد لمعنى: التواصل بين المتحادثين، والشعر الذي هو من الأدب هو صورة حيّة للحياة وانعكاس لبيئة الإنسان، ومرآه لما يُمارسه في الواقع على وجه الحقيقة؛ فلا غرو في استخدام الشعراء النداء في مخاطبتهم للطير حين مناجاتهم له.

ويمكن القول: إنَّ النداء في مخاطبة الشعراء الطير، خرج من معناه الحقيقي إلى معنى المناجاة، ومن ثم ففيه «طلب إجابة لأمر» و «طلب إقبال المدعو» ولكن على سبيل المجاز.

والنداء في مخاطبة ومناجاة الشعراء للطير؛ يُوحى بدلالات متنوعة؛ تستمد من سياق كل موقف على حدة، وتأتي «يا» النداء أداة شائعة في هذا الموقف الذي قد تُستهل به القصيدة، يقول الشريف الرضي^(١):

يَا طَائِرَ الْبَانَ غَرِيْدًا أَعْلَى فَنَنْ
مَا هَاجَ نَوْحُكَ يَا طَائِرَ الْبَانَ

ويقول عنتره^(٢):

يَا طَائِرَ الْبَانَ قَدْ هَيَّجْتَ أَشْجَانِي
وَزِدَّتْني طَرْبًا يَا طَائِرَ الْبَانَ

ويقول كذلك^(٣)

يَا حَمَامَ الْغُصُونِ لَوْ كُنْتُ مِثْلِي
عَاشِقًا لَمْ يَرِقْكَ غُصْنٌ رَطِيبٌ

ويقول عبد الله بن الزبيري^(٤):

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ
إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فَعِلْ

(١) ديوان الشريف الرضي، ص ٣٣٧.

(٢) ديوان عنتره بن شداد، ص ١٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٤) ديوان عبد الله بن الزبيري، ص ٤١.

ويقول أبو العلاء المعري^(١):

يَا غُرَاباً هُمُّهُ فِي غَارَةٍ يَتَمَنَّى أَقْطاً فَوْقَ مَشْرِ

وقد تسبق أداة النداء في مخاطبة ومناجاة الشعراء الطير ألفاظاً لها دلالتها، يعرض فيها الشاعر سبب مناجاته للطير، أو يذكر حرف الاستفتاح « ألا » قبل أن يناجي الطير؛ للتنبيه عن عظم ما يُخاطب الطير من أجله.

يقول مجنون ليلى^(٢):

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبْكَيْتَنِي يَا حَمَامَةَ الْعَقِيـ تِ وَأَبْكَيْتِ الْعُيُونَ الْبَوَاكِيَا

ويقول كذلك^(٣):

أَلَا يَا حَمَامُ الْأَيْكَ أَجْرَيْتَ أَدْمُعِي وَقَدْ صَاحَ فَوْقَ الْوَجْنَتَيْنِ غَزِيرُهَا

ويقول الشريف الرضي^(٤):

أَقُولُ وَقَدْ رَنَّتْ مَرَاحاً لِبَالِكِ يَا حَمَامَةً غَيْرِ بَالِي

ويقول أبو العلاء المعري^(٥):

فَقُلْتُ تَغْنِي كَيْفَ شِئْتِي فَإِنَّمَا غَنَاؤُكَ عِنْدِي يَا حَمَامَةً إِغْوَالِ

(١) ديوان أبي العلاء المعري، ص ٣٦٢.

(٢) ديوان قيس بن الملوّح، ص ٢٢٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢١.

(٤) ديوان الشريف الرضي، ص ٣٢٥.

(٥) ديوان أبي العلاء المعري، ص ٥٧٠.

ويقول هدبة بن الخشرم^(١):

يُخَبِّرُنَا الْغُرَابُ بَأْنَ سَتْنَائِي حَبَائِبُنَا فَقَدْتُكَ يَا غُرَابُ

ويقول أمية بن أبي الصلت^(٢):

فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ طَرَّبَ صَرْخَةً أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ سَمِعْتَ نِدَائِيَا

وقد تحذف أداة النداء في مخاطبة ومناجاة الشعراء للطير، ويكون موضعها تقديراً، إلا أن صداها ووقعها يظل ماثلاً في موقف المخاطبة والمناجاة بوضوح.

وحذف أداة النداء له دلالة في نفس الشاعر وهو:

أَنَّ الْمُنَادِي هُوَ فِي أَقْرَبِ مَنَازِلِ الْقَرَبِ مِنَ الشَّاعِرِ؛ حَتَّى لَمْ يَعُدَّ يَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِ
أداة نداء له؛ لشدة قُربه منه.

يقول مجنون ليلى^(٣):

فَقُلْتُ: حَمَامَ الْأَيْكِ مَالِكَ بَاكِياً أَفَارَقْتَ إِيَّامَ جَفَاكَ حَيْبُ؟

ويقول عنتره^(٤):

غُرَابَ الْبَيْنِ مَالِكِ كُلِّ يَوْمٍ تُعَانِدُنِي وَقَدْ أَشْغَلْتَ بَالِي

(١) ديوان هدبة بن الخشرم، ص ٦٣.

(٢) ديوان أمية بن أبي الصمت، ص ١٩٦.

(٣) ديوان قيس بن الملوح، ص ٣٣.

(٤) ديوان عنتره بن شداد، ص ١٤٨.

ويقول أسامة بن منقذ^(١):

حَمَائِمَ الْأَيْكِ هَيَّجْتُنَّ أَشْجَانَا فَلَيْبِكِ أَصْدَقْنَا بَثًّا وَأَشْجَانَا

٢- أسلوب الاستفهام:

أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب التي نجدها في قصائد مخاطبة ومناجاة الطير، ولها دلالتها من لفت السامع لها، واستشراق السامع لمعرفة جواب هذا الاستفهام، ولمعرفة دوافع هذا الاستفهام، وغيرها.

والاستفهام من أساليب الإنشاء الطلبي، وهو نوعان: حقيقي، ومجازي، ويتولد عن الاستفهام المجازي جملة من المعاني، «ولكن هذه المعاني لا تنفي بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور»^(٢)، كالإنكار، والتعجب، والتفخيم، والعتاب، والتمني، والنهي.

والاستفهام ليس فقط طلب فهم المستفهم، وإنما هناك ما هو طلب إفهام المسؤول أيضاً^(٣).

والاستفهام في مخاطبة ومناجاة الطير يُحرِّك في المتلقي نوعاً من تخيل المشاعر والأحاسيس، ويدعو إلى تتبع المعنى الذي يطرحه الشاعر.

وللاستفهام عدة ألفاظ؛ من أكثرها استعمالاً: هل، وما.

(١) ديوان أسامة بن منقذ، ص ٣٥٦.

(٢) أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، حسني بن عبد الجليل، دار المعالم الثقافية، السعودية، ص ١٠.

(٣) أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، حسني بن عبد الجليل، دار المعالم الثقافية، السعودية، ص ٩.

يقول عوض بن محلم الخزاعي^(١):

وَأَرَقَنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الْغَرِيبِ يَنْوَحُ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذِرْ دَمْعَةً وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدَّمُوعِ سُفُوحُ
وَنَاحَتْ وَفَرَاخَهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونَ أَفْرَاحِي مَهَامِهِ فِئْحُ
أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ الْفُكَّ حَاضِرُ وَغُصْنُكَ مَيَّادُ فَغِيمِ تَنْوَحُ؟

نرى في هذه الأبيات التي خاطب فيها الشاعر الحمام: أن جملة الاستفهام تتصل بما قبلها، من الناحية الأدبية؛ بمعنى أن الأداء التعبيري من الشاعر الذي سبق جملة الاستفهام يحقق نوعاً من توضيح المعنى، ودلالة هذا الاستفهام، ويدعونا إلى تأمل ما أفصح عنه الشاعر من حاله وغربته، وشوقه إلى أهله ودياره بأسلوب المقابلة بين ما يعيشه وما يعيشه هذا الحمام الذي ينوح على غصن الشجرة، وقد توفر لديه كل ما ينشده الشاعر ويفقده.

فربط الشاعر جملة الاستفهام بما قبلها من أبيات جاءت في ربط ونسج جميل.

ويقول قيس بن ذريح^(٢):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي بِخَبْرٍ كَمَا خَبَّرْتَ بِالنَّأْيِ وَالشَّرِّ

أسلوب الاستفهام في البيت يهزّ وجدان المتلقي، وينقل صدق المخاطبة التي نبعت من الشاعر، فهو يسأل الغراب بخرقة ما يجد من بُعد لبيئته عنه ورحيلها.

(١) كتاب شعراء عباسيون، ص ١٣٩.

(٢) ديوان قيس بن ذريح (قيس لبيئ) شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ٢٢.

كما أخبرتني أيها الغراب برحيلها؛ هل ستخبرني برجوع لُبني ولقياي بها ولكن هيهات أن يخبره الغراب بلمّ الشمل واجتماعه معها؛ فالغراب ما هو إلا منذر بالفرقة والبعد، ولكن حملة شدة شوقه للُبني أن يسأله هذا السؤال.

ويقول أيضاً^(١):

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ قَدْ طَرْتَ بِالَّذِي أَحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ؟

وهنا يسأل الغراب ويقول: لقد طرت لي بالشؤم الذي أحزني وهو فراق لُبني فما أنت صانع بي بعد ذلك؟ إني بعد فراق لُبني لم أعد أخشى فقد شيئاً، ففقدتها قد أحال حياتي بؤساً؛ فنجد الشاعر وظف الاستفهام لإثارة من يُناجيه وكأنما بينهما تواصلًا.

(١) المصدر نفسه، ص ٥٦-٥٧.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله، وبعد:

فقد توصلت بتوفيق الله في هذه الرسالة (مخاطبة الطير في الشعر العربي) إلى الخروج بعدد من النتائج، والتي أرجوا أن تكون منارة لكل باحث عن علاقة الطير في الشعر بشكل عام، ومخاطبة الشعراء للطير بشكل خاص.

وقد تحصّلت لديّ ثمرات ونتائج أجملها فيما يأتي:

- احتلال الطير مكاناً واسعاً في حياة العرب، فجعلوه متصلاً بأسباب حياتهم.
- ظهرت عند العرب وخاصة في العصر الجاهلي معتقدات وأساطير تعلّقت بالطير في واقعهم الاجتماعي؛ لبعدهم عن الوعي الديني في تلك الفترة وما زال هذا المعتقد في العصور التي تلي الإسلام، ولكنها غير سائدة كما كانت عليه في العصر الجاهلي.
- كان لاهتمام العرب بالطير أثرٌ بارز في حياة العرب فسمّوا أولادهم بأسماء الطير، وجعلوا له صفات كثيرة، وأسماء لصوت كل نوع من أنواع الطيور، ومساكنه، وضربوا أمثلة تتعلق بصفات بعض الطيور كالغراب.
- خاطب بعض الشعراء أنواعاً من الطير بأشكال مختلفة كالنداء والحوار وذلك يختلف في مسوغاته من طير لآخر.
- تنوع الألفاظ في مخاطبة الشعراء للطير من طائر لآخر. فالحمام تجد معه ألفاظ الشوق، والحنين، والشجون، ورقة القلب. والغراب تجد معه: الشؤم والفراق، والبعد.

- ظهور أثر الحالة النفسية والشعورية لدى الشعراء في مخاطبتهم للطير بأنواعه؛ إذ أن الشعر ما هو إلا تعبير عن المشاعر والأحاسيس.
 - جعل بعض الشعراء الطير كائناً عنده فهم لما يقوله الشاعر ويخاطبه به فجعل ذلك لدى الشاعر سبباً في مخاطبته له بفيض مشاعره.
 - على الرغم من نظرة الشؤم السائدة عند بعض الشعراء المتعلقة بالغراب إلا أنه قد وُجد من العرب من ينكر هذه النظرة التشاؤمية.
 - مجيء الإسلام صحَّح بعض المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالطير.
 - مخاطبة الشعراء للطير جاءت في صور فنية متنوعة، وبأساليب دلالية لاسيما أسلوب النداء والاستفهام.
 - استمرار مخاطبة الشعراء للطير إلى القرن الخامس الهجري؛ فيه دلالة على قوة الترابط والتعلق بهذا المخلوق (الطائر) وجعله أنيساً للشعراء يفيضون عليه من أشواقهم.
- هذه خلاصة مقتضبة لما توصلت إليه في هذه الرسالة، فإن تحقق به الغرض، وحصل به المقصود، فذلك فضل الله، فله الحمد كله وإلا فحسي أنني بذلت جهدي، واستفرغت طاقتي.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت ٢٧٦هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط ٤، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.
- الأصمعيات، للأصمعي، تحقيق: أحمد شاکر - عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.
- إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تأليف: محمد دياب الإقليدي، الناشر: دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
- الأغاني، الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين، ت ٣٥٦هـ) تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.
- البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقدة، تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة.
- البيان والتبيين (الجاحظ - ت ٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م.
- البيان والتبيين، (الجاحظ - ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م.

-
-
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محمد مرتضى، ت ١٢٠٥هـ) القاهرة، ١٣٠٦هـ.
- تأريخ دمشق، لابن عسكرك، الناشر: دار الفكر، مصر.
- ثمرات الأوراق، لأبي بكر بن حجة الحموي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المطبعة الوهيبية، عام ١٣٠٠هـ.
- الحيوان (الجاحظ، ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، ١٩٦٩م.
- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي (عبد القادر بن عمر، ت ١٠٩٣هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، (الزخشري ت ٥٣٨هـ)، تحقيق د. سليم النعيمي، بغداد، ١٩٧٦م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن البوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب.
- الزهرة، لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة طير العباد، محمد بن يوسف الشامي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد وآخرون، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام. بشير بن يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م.
- شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، الناشر: مكتبة دار العروبة، القاهرة، مصر.
- شرح ديوان الحماسة، للخطيب التبريزي، تحقيق: فريد الشيخ، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦هـ، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ.
- شعراء عباسيون، د: رشدي علي حسن، دار النشر: دار يافا، عمّان، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م.
- الطير في الشعر الجاهلي، عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام، للدكتور: كامل عبد ربه حمدان الجبوري، دار الينابيع، سورية، دمشق، ط ١، ٢٠١٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٣م.
- عيون الأخبار (ابن قتيبة، ت ٢٧٦هـ) دار الكتب للتأليف والنشر، ١٩٦٣م.

-
-
- الفهرست، ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب، ت ٣٨٥هـ)،
دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- في تاريخ الأدب العربي، د. علي الجندي، طبعة دار المعارف، ١٩٨٥م.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد النحوي، ت ٢٨٦هـ)
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، مصر.
- كتاب نثر الدرر، المنصور بن الحسين الآبي، الناشر: وزارة الثقافة السورية، عام
١٩٩٧م.
- لسان العرب، ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ)
دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٨م.
- مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار العلم، بيروت.
- المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمد بن عمر،
ت ٥٣٨هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدا باد الدكن، الهند،
ط ١، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- المفضليات، للضبي ت ١٦٨هـ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام
هارون، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني،
تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، ط ١.

-
-
- ديوان ابن أبي حصينة، تحقيق: محمد أسعد طلس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٥هـ / ١٩٦٥م، بيروت، لبنان.
- ديوان ابن الدمينة الخنعمي، شرحه وضبطه، محمد الهاشمي البغدادي، الناشر: م كتبة محي الدين رضا، الطبعة الأولى، ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، الناشر: دار الكتب القومية، ٢٠٠٣م، القاهرة، مصر.
- ديوان ابن المعتز، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، الناشر: دار المعارف، مصر.
- ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، الناشر: دار الشرق العربي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق: أحمد خليل الشال، الناشر: مركز الدراسات للبحوث الإسلامية، بورسعيد، مصر.
- ديوان أبي فراس الحمداني، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي نواس، تحقيق: إيليا حاوي، الناشر: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٧م، لبنان.

-
-
- ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بيروت، لبنان.
- ديوان الأخطل، تحقيق: حنا نصر الحتي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ديوان الأعشى، تحقيق: د. محمد حسين، الناشر: مكتبة الآداب، مصر.
- ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: ابن سينا، القاهرة، مصر.
- ديوان البحري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الناشر: دار المعارف، الطبعة الثالثة، مصر.
- ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: أمل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، بيروت، لبنان.
- ديوان الخطيئة، تحقيق نعمان أمين طه، شركة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
- ديوان الخنساء، شرح وتحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، بيروت، لبنان.
- ديوان الراعي النميري، تحقيق: واضح الصمد، الناشر: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

-
-
- ديوان الشريف الرضي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ديوان الشريف المرتضى، تحقيق: محمد التونجي، الناشر: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. بيروت، لبنان.
- ديوان الشماخ الذبياني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، الناشر: دار المعارف، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، القاهرة، مصر.
- ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: د. إميل بديع يعقوب. الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.
- ديوان الصنوبري، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.
- ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق: عزة حسن، الناشر: دار الشرق العربي، قطر.
- ديوان المتني، أحمد بن الحسين، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بيروت، لبنان.
- ديوان المرقشين، تحقيق: كارين صادر، ط، ١٩٩١م. دار النشر: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: د. واضح الصمد، دار النشر: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.

-
-
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: عباس عبد الساتر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.
- ديوان النمر بن تولب العكلي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، ١٩٨٤م، القاهرة، مصر.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه: سميع جميل الجبيلي، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.
- ديوان بشار بن برد، شرح: محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: لجنة التأليف والنشر، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م، القاهرة، مصر.
- ديوان تأبط شرا، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، بيروت، لبنان.
- ديوان جرير، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، الناشر: دار المعارف، مصر.
- ديوان ذي الرمة، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد القدوس أبو صالح، الناشر: مؤسسة الإيمان للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، بيروت، لبنان.
- ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق: وليد بن الورد البروسي، الناشر: تصوير دار قتيبة، دمشق، سوريا.

- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي بن حسن قاعور، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، بيروت، لبنان.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: دريه الخطيب ولطفي السقال، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعبيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، بغداد، العراق.
- ديوان علي بن أبي طالب، جمع وترتيب ونشر: عبد السلام الكرم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ديوان عنتر بن شدّاد، تحقيق: محمد سعيد مولوي، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٩٧٠م، سوريا، دمشق.
- ديوان قيس بن ذريح (قيس لُبني)، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ديوان ليبد بن ربيعة، تحقيق وشرح: إحسان عباس، الناشر: وزارة الإرشاد في الكويت، ١٩٦٢م.
- ديوان مجنون ليلي قيس بن الملوّح، شرح: عدنان زكي درويش، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م، بيروت، لبنان.
- ديوان يحيى بن الحكم الغزال، تحقيق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، بيروت، لبنان.

- السُّليْكُ بن السلْكَة "أخباره وشعره"، دراسة وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عوّاد، مطبعة العافي، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، بغداد، العراق.
- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، تحقيق: راجي الأسمر، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، بيروت، لبنان.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م، مصر.
- شعر أبي حية النميري، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٥م، دمشق، سوريا.
- شعر عبد الله بن الزبيري، تحقيق: يحيى الجبوري، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، بيروت، لبنان.
- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، جمع وتحقيق: مطاع طرايشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، دمشق، سوريا.
- شعر هذبة بن الحشرم، جمع: د. يحيى الجبوري، الناشر: دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، الكويت.
- شعر يزيد بن الطثرية، جمع: حاتم بن صالح الضام، الناشر: مكتبة الشعر العربي، بغداد، العراق.
- عبد الله بن عمر العرجي، "حياته وشعره"، تحقيق: سجع جميل الجبيلي، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

فهرس الموضوعات

| رقم الصفحة | الموضوع |
|--------------------------------------------|---------------------------------------------------------|
| ٢ | الملخص باللغة العربية |
| ٣ | الملخص باللغة الإنجليزية |
| ٤ | الإهداء |
| ٥ | الشكر والتقدير |
| ٦ | المقدمة |
| ٩ | منهج البحث |
| ١٠ | الدراسات السابقة |
| ١٢ | التمهيد |
| الفصل الأول: الطير وأبعاده في الشعر | |
| ١٥ | المبحث الأول: أنواع الطير ومستوى الحضور في الشعر العربي |
| ٥٣ | المبحث الثاني: الطير والمعتقدات الاسطورية عند العرب |
| الفصل الثاني: تشكل الخطاب الشعري | |
| ٧٩ | المبحث الأول: أشكال الخطاب |
| ٧٩ | المناجاة |
| ٨٩ | المحاورة |
| ٩٦ | المناداة |

| رقم الصفحة | الموضوع |
|------------|--------------------------------------|
| ١٠٢ | المبحث الثاني: وظيفة الخطاب ومسوغاته |
| ١٠٢ | البوح |
| ١١١ | الأنس بالطير |
| ١١٨ | المبحث الثالث: سمات الخطاب |
| ١١٨ | أ) الصور الفنية |
| ١٣٣ | ب) الظواهر الأسلوبية |
| ١٤٢ | الخاتمة والنتائج |
| ١٤٤ | قائمة المصادر والمراجع |
| ١٥٣ | فهرس الموضوعات |